روايات
عالمية
للفتيان

رغد والسحابة

تأليف: صوفيا بروكوفيفا



ترجمة: عزة حسين كبة

رغد والسحابة

تأليف: صوفيا بروكوفيفا
ترجمة: عزة حسين كبة

فريق التوثيق الألكتروني

فريق التوثيق
الألكتروني

قصة رغد والسحابة
تأليف: صوفيا بروكوفيفا
ترجمة: عزة حسين كبة

الطبعة الاولى ١٩٨٧

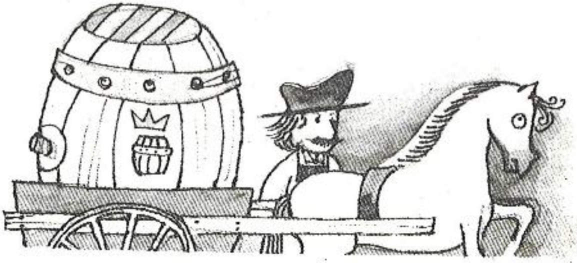
الناشر وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
العراق ـ بغداد ص. ب ٨٠٤١

سلسلة نصوص عالمية
تصدر عن قسم البحوث والنشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام رئيس مجلس الادارة: فاروق سلوم
سكرتير التحرير: فاروق يوسف

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٨٦٩ لسنة ١٩٨٧

رغد والسحابة

الفصل الأول



بماذا يفكر حصان العم كلوك؟

«لا أثر للعشب على الاطلاق...» فكر الحصان العجوز في نفسه، وكان يجر عربة الى أمام، محملة ببرميل من خشب البلوط وعليه لافتة كتب عليها (الماء من ممتلكات الملك). وتحت كلمات اللافتة، نقش شعار الملكية وهو برميل ذهبي وتاج.

وكان العم كلوك بائع الماء يسير الى جانب العربة. ويصيح بين حين وآخر معلناً عن بضاعته:

«ماء! بارد، من النبع».

سارت العربة فوق جسر صغير. لم يكن هناك نهر تحته، فقط أحجار جافة متربة.

«كيف يمكن أن ندعوه جسراً إن لم يكن تحته ماء؟» فكر الحصان العجوز،

«انها كلمة جوفاء. ولكن فيلسوف الليل، البوم العجوز، الذي يطير الى الاصطبل ليلاً، أخبرني اكثر من مرة بانه كان هناك نهر مليئ بالماء. هل بدأ يتخيل بعض التخيلات بعد ان تقدم به العمر؟!...

كانت العربة تمر الآن في زقاق ضيق، وعلى جانبي الزقاق، كانت هناك بيوت يعلوها التراب.

«كيف يمكن أن نسمي هذه بالقناة؟؟» فكر الحصان العجوز في أسىً مع نفسه،

«كيف تكون قناة اذا لم يكن قربها أي أثرٍ للعشب والخضرة؟ عليها أن تخجل من نفسها وألاّ تسمي نفسها قناة. فأشجار بلا أوراق!؟ انها لا يمكن أن تكون اشجاراً....».

-«ماما... ماما.. اسقيني شربة ماء واحدة فقط...» توسل طفل نحيف الى أمه بصوت باك.

-«العم كلوك»، نادت، امرأة شاحبة الوجه على بائع الماء. «املأ هذا الأناء الصغير ماءً لطفلي الصغير».

-«حسناً!» صاح العم كلوك وهو يوقف العربة. «وماذا ستعطيني في مقابل ذلك؟؟

- «لفة من الدانتيل، ياعم كلوك» أجابت المرأة بلهفة، ثم أضافت «انها ناعمة ورقيقة كأنها نسيج العنكبوت! أنت تعرف بأني أتقن جيدًا حياكة الدانتيل».

شرب الطفل مافي الاناء من ماء في جرعة واحدة، بينما وضعت أمه راحتيها تحت ذقنه لتمسك ماقد يتساقط من قطرات.

واصلت العربة سيرها، ومرت ببئر مليء بالحصى والحجارة. وكان هناك اثنان من الحراس جالسان على حافة البئر يتحدثان : هما جنجر، وتاك.

-«كيف نسميه بئراً إذا لم تكن فيه قطرة ماء؟!» فكر الحصان مع نفسه.

-«انها كلمة جوفاء لاتعني شيئاً».

-«كيف تسير الأمور؟ سألهما العم كلوك.

«هل حاول أحد...؟»

-«حاول ماذا؟» تساءل جنجر بكسل وهو يفتح عينه.

-«هل حاول أحد رفع الحصى والحجارة والحصول على الماء؟».

-«كل شيء هادئ تماما خلال النهار»، قال تاك وهو يتثاءب. «وفي الليل. يوضع مدفع عند كل بئر. حاول أن تقترب منه لتعرف ماسيحصل لك!»

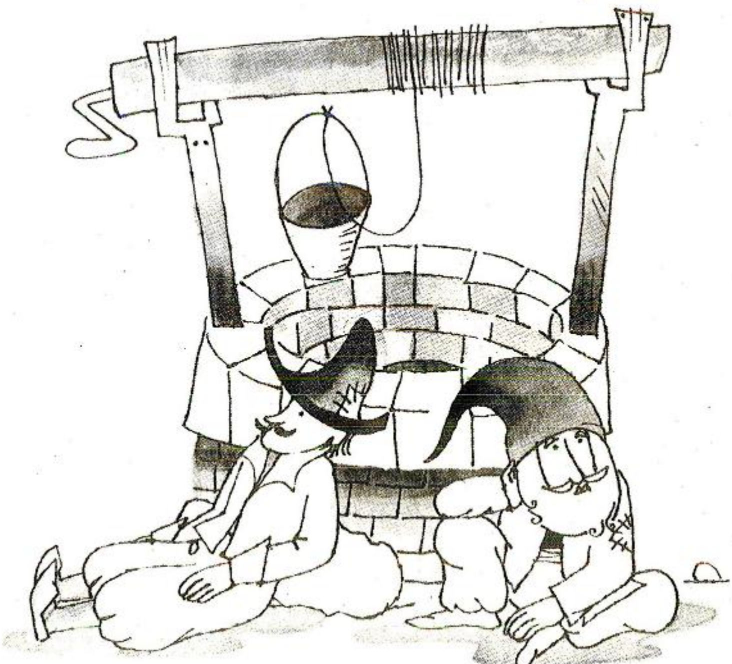
!«ماء! ماء من النبع!» عاود العم كلوك نداءه بأعلى صوته.

لكن أحداً لم يخرج من البيوت. بل كان الجميع يغلقون أبوابهم ونوافذهم.

-«لا أثر للعشب. ولا لورقة على شجرة. في أي مكان! أرض قاحلة. مدينة بلا حياة. والعشب لايمكن رؤيته إلا في الأحلام.

أو خلف قضبان قصر الملك وحدائقه. إن سماع صوت الماء المتدفق أصبح من قبيل الأحلام المستحيلة».

هذا ما كان يفكر به حصان العم كلوك.



الفصل الثاني



رغد

-«هاي، ميلكواير!» صاح العم كلوك. عندما اقتربت عربته من متجر صغير، فوق بابه لافتة كتب عليها: «أبر، دبابيس، وكل الادوات الجارحة المدببة».

كان صاحب المتجر يقف عند الباب. ومن النظرة الاولى يستطيع المرء ان يحزر بان الرجل يبيع ادوات حادة ومدببة. فعيناه حادتان، وأهدابه كأنها الابر، اما حاجباه وشاربه، فقد كانت تبدو كالفرشاة الصلبة.

-«يقال ان الماء قد انخفض ثمنه»، قال ميلكواير وهو يقهقه.

-«كلا. ليس بعد»، أجاب العم كلوك بلهجة حزينة.

-«اذن، فلا زال ثمن سطلين من الماء، هو قطعة فضية؟» سأل ميلكواير بحدة.

–«بل سطل واحد مقابل قطعتين من الفضة»، أجاب العم كلوك وهو أكثر حزناً.

عندما أدرك صاحب المتجر انه لا يستطيع أن يخدع العم كلوك، توقف عن الابتسام، وصاح: «هاي، رغد، اجلبي السطل!».

من أعماق ظلمة المتجر، ظهرت فتاة صغيرة تحمل بيدها سطلاً.

كانت فتاة عادية، ذات أنف يعلوه النمش، وعينين خضراوين، وشعر كستنائي ربط على شكل ذيل الحصان بطريقة مضحكة.

ثوبها فقط كان غير عادي. كان مصنوعاً من قطع من كل أنواع الأقمشة، قطع كبيرة، وصغيرة، صوفية وقطنية، زرقاء، وحمراء....

«جرعة واحدة فقط» همست رغد متوسلة وهي تنظر الى سطل الماء.

–«حقا!! ترى ماهي رغباتك القادمة!» قال ميلكواير بصوت يشبه فحيح الافعى، وهو ينظر الى الفتاة غاضباً.

في تلك اللحظة، حدث شئ غريب جداً لحصان العم كلوك. فالحصان الذي كان عادة هادئاً، مستسلماً، رفع رأسه فجأة، وراح يصهل. بعد ذلك، تراجع الحصان واستند على

قدميه الخلفيتين، بقدر ماسمحت به الحبال التي ربطت العربة، ثم راح رأسه بسرعة وسعادة ؛ وكأنه يحي شخصاً ما. وفوق ذلك كله ؛ راح الحصان يدير عينيه في دهشة، ويهز ذيله، وواصل صهيله وكأنه مهر صغير أحمق.

اضطرب العم كلوك حتى أنه أراق بضعة قطرات من الماء على الأرض! وكانت هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك منذ أن أصبح العم كلوك، بائع الماء الملكي.

هزّ ميلكواير رأسه في ضيق ؛ حمل سطل الماء ودخل الى داخل المتجر.

كان يسير في حذر شديد ومهل شديد ؛ كلاعب السيرك الذي يحمل فوق أنفه قضيباً استقرت فوقه صينية ملأى بالأواني الزجاجية.

تنهدت رغد، ثم صعدت الى غرفتها الصغيرة المنزوية تحت السطح مباشرة. لم يكن فيها أي أثاث: سوى حزمة من القش في الزاوية.

التقطت رغد قطعة من القش من الأرض، وراحت تعبث بها، فجأة رأت شيئاً غريباً عند حافة النافذة.

في الحقيقة ؛ من الصعب جداً التأكد مما إذا كانت قد رأت شيئاً حقاً، أم لا! ولكن، إذا افترضنا انها رأت شيئاً فقد كان ذلك الشيء حصان العم كلوك، الذي استطاع ان يتسلق

ويصل حافة نافذة غرفة رغد وكان يجلس هناك.

ومن الناحية الأخرى، فاننا نستطيع أن نقول بانها لم ترَ شيئاً البتة ؛ لان حصان العم كلوك الجالس فوق حافة النافذة كان شفافاً تماماً ؛ بل انه كان بدرجة من الشفافية بحيث يمكن الاّ يكون موجوداً على الاطلاق.

«ماء...» ردد الحصان بصوت باكٍ.

لم تستطع رغد ان تأتي بحركة واحدة.. شعرت بأن مسامير تثبت قدميها وجسمها كله.

-«هذا ماتوقعت..» قال الحصان في يأس مرير، وهو يهز ذيله حزيناً.

«اجل لقد كنت أعرف باني لن أحصل على قطرة ماء. ليس سوى فتاة خرقاء، ذات وجه أحمق».

حدقت رغد، في دهشة غير مصدقة بينما اختفى ذيل الحصان، ثم بدأت قدماه الخلفيتان بالاختفاء ايضا.

-«من انت؟» تساءلت رغد هامسة.

هز الحصان جسمه الذي أصبح نصفه شفافا تماماً.

-«هذا ماتوقعت...» قال الحصان وهو يركز نظرات حزينة ملأى بالعتاب على رغد. «لقد توقعت تماماً بانني وأنا احتضر. سوف اتلقى اسئلة سخيفة. أسئلة بدل الماء...»

أصبح الصوت ضعيفا شيئا فشيئا. وكانت رغد تراقب

القدمين الأماميتين، والرقبة تختفي بالتدريج أمام عينيها.

-«ماء...» همست شفتا الحصان في ضعف، ثم اختفى كل شيء.

أسرعت رغد الى الطابق الأرضي. كان صوت شخير مرتفع ينطلق من غرفة سيدها وسيدتها، فقد كان صاحب المتجر يشخر كالدب النائم في كهفه، بينما كان صوت شخير زوجته حاداً ومرتفعاً.

في الحقيقة ترددت رغد لحظات قبل أن تمد يدها الى سطل الماء، وعضت على أصبعها بشدة وقوة، وهي تحدق في سطل الماء. فانها لم تجرؤ من قبل أبداً على أن تأخذ جرعة ماء دون ان تستأذن من سيدها وزوجته.

ولكن، في اللحظة التالية ؛ كانت رغد تحمل السطل وهي تلهث، تتسلق السلالم بأسرع ماتستطيع، والماء يتناثر من السطل ويبلل ساقيها.

لاشك، عزيزي القارئ، بأنك لو كنت في محل رغد، مع حصان شفاف وحزين يجلس عند حافة النافذة، ويتوسل من اجل شربة ماء، لفعلت الشيء ذاته.

دفعت رغد الباب بقدمها ودخلت الى الغرفة لكن لم يكن هناك احد عند حافة النافذة. لقد اختفى الحصان الشفاف.

لم تشعر رغد بالوحدة، كما شعرت بها الان، فقد بدت

الغرفة لها خاوية، موحشة. وضغطت على اسنانها بكل قوتها كي تمنع دموعها. لقد بدا كل شيئ خامداً، مملاً وكامداً. وجلست على كومة القش ؛ لكنها قفزت ثانية بصورة مفاجئة لقد شاهدت عين حصان شفافة واحدة تسبح فوق حافة النافذة. وكان من الواضح أن العين رأت سطل الماء، لأنها تفتحت واسعة، وشعت منها السعادة والبهجة. وراحت تقترب من سطل الماء حتى وصلت اليه، وراحت ترتشف منه.

وكأن الحياة انبعثت في سطل الماء فجأة إذا انطلقت منه اصوات قرقرة سعيدة.

في اللحظة التالية ابعدت رغد رأساً أبيض كأنه مصنوع من الصابون، يطل من قعر السطل. حدقت رغد في ذلك الوجه، في العينين الواسعتين، والضفيرتين المضحكتين.

امتدت ذراعان بيضاوان وأمسكتا بالسطل ثم رأت رغد جسماً يجثم على السطل المليئ بالماء، لقد ذكرها بشخص او شيئ تعرفه تمام المعرفة؟ لكنها لم تستطع ان تتذكر.

نظرت رغد الى السطل ؛ فرأته فارغاً تماماً!

-«انه فارغ!» قالت في دهشة.

«ليس فيه قطرة ماء واحدة. حتى القعر يبدو جافا...»

-«هل جربتِ التبخر يوماً؟» سألها ذلك الشكل الابيض الصغير بلهجة جادة.

-«كلا...» اجابت رغد هامسة .

فجأة امسك الشكل الابيض باذنيه، وطار الى الاعلى. انه لم يفعل أي شيء يساعده على الطيران ؛ فهو لم يحرك يديه، أو قدميه. بل انه طار هكذا. بكل بساطة.

وعندما طار فوق رغد، تساقطت بضع قطرات من الماء على وجهها.

-«هل تستطيعين ان تفهمي؟» تساءل الشكل الابيض.

-«في الحقيقة، انا لم افهم اي شيء» اجابت رغد.

-«أنا سحابة» قال الشكل الابيض ببساطة، «سحابة اعتيادية تماماً»



الفصل الثالث

الاسد الابيض على حافة النافذة

في الحقيقة انا لم افهم اي شيء اجابت رغد انا سحابة قال الشكل الابيض ببساطة سحابة اعتيادية،هبط الظلام ، وظهر هلال لامع من خلال النافذة. جلست الغيمة على حافة النافذة وتركت ساقيها تتدليان ، واخترق ضياء الهلال السحابة.

«حسناً... سوف يضربني سيدي بشدة... ولكن هذا كل ما يستطيع ان يفعله....» قالت رغد وهي تحاول رفع معنوياتها. وتلقي بنظرة الى السطل الفارغ. «ماهو عمرك؟». سألت رغد السحابة.

وأجابت السحابة.

-«تعنين كم مرة امطرت فيها؟»

«فقط مليون وسبعمائة الف وثلاثاً وستين مرة احدثت فيها مطراً.»

-« مطر؟» تساءلت رغد في دهشة. «وما هو المطر؟»
- «الا تعلمين ما هو المطر؟» جاء دور السحابة الآن في التعجب والدهشة» انه اروع شيء على الاطلاق وانت ألا تعرفينه؟ انه نزول الماء من السماء.
-«من السماء؟؟»
-«نعم».
-«هكذا! وبدون مقابل؟» تساءلت رغد وهي لاتستطيع تصديق ماتسمع.
-«اجل . بدون اي مقابل». أجابت السحابة.
-«هذا لايمكن ان يحدث أبداً».
-«اوه.. بل هذا ما يحدث بالضبط. لازلتُ أذكر غزارة المطر الذي اسقطته والذي هيأته لي جدتي في عيد ميلادي المائة! واحزري ماذا اكتشفت تحت الوسادة عندما استيقظت؟! برقاً! ذلك كان هدية من جدتي. ان كل غيمة تحلم بالحصول على البرق هدية لها. وجدتي غيمة كبيرة ملأى بالرعد.
-«رعد؟ مطر غزير؟» شعرت رغد بالاعياء وهي تستمع الى كل هذه المفردات الجديدة.
-«الغيمة الرعادة هي غيمة تحمل معها الرعد والبرق. والمطر الغزير معناه مطر كثير جدا جداً بحيث يترك فقاعات في البرك».
-«فقاعات في البرك...» تساءلت رغد في فرح.

-«فقاعات كثيرة تتقافز...» قالت السحابة في حماس وحيوية.

-«ولكن ذلك لايحدث هنا» قالت رغد في أسى.

-«لقد كان ذلك يحدث في الماضي. ما أُجمل النهر الذي كان يجري هنا! كان نهراً جميلاً وهادئاً يزود المدينة كلها بالماء. والجداول!! مجموعة رائعة منها. ولكن لايمكن أئتمانها على سر ما، فهي تثرثر وتثرثر على كل شيء...»

-«ولكن، ما الذي حدث لها جميعا؟»

-«لا ادري. لا احد يعرف. ولا حتى جدتي الكبيرة، السحابة الرعادة. وعندما اسألها، تهز كتفيها وتقول: «لا استطيع أن افهم ما حدث». تصوري! ان النهر جف تماماً، وبدون أي سبب. واختفت الجداول والبرك. وما بقي عندكم الآن صحراء قاحلة!!».

-«وماذا عن الحدائق الملكية؟»

-«قبل الوصول اليها، سوف تتبخر أية سحابة وهل تعتقدين ان هناك من يستمتع بالتبخر؟؟ كلا... ان اية سحابة تحترم نفسها لن تقترب من مملكتكم هذه».

-«ولكن، ماذا عنك انت أيتها السحابة؟»

-«انا اختلفت.» اقتربت السحابة من رغد.

«ان صديقتي الضفدعة روزيتا العجوز، تعيش في الحدائق الملكية. آه... يجب ان تتعرفي عليها وتري مدى جمالها وذكائها.»

-«صديقتك!!» رددت رغد في هدوء.

-«وهل تعتقدين ان جدتي تسمح لي بالتحليق هنا؟ بالطبع لا. لقد صرخت بأعلى صوتها: (هل لديك الجرأة!! ان السماء مثل مقلاة ملتهبة الحرارة هناك. ماذا تظنين نفسك؟ سحابة ام لحمة مقلية؟) لكنني حلقت عاليا عندما لم تكن جدتي تنظر ناحيتي كنت متلهفة لرؤية صديقتي روزيتا». تجمعت الدموع في عيني السحابة.. ثم اضافت،.

«حاولت ألاّ أنظر الى الأشجار الذاوية...»

غطت السحابة وجهها بيديها. وراحت الدموع تتساقط من بين أصابعها.. تاب.. تاب.. على حافة النافذة.

«لقد سقيتُ سبعين كلباً كان يشكو العطش، وثلاثين قطة ظمأى.» كانت السحابة الآن تبكي بمرارة. وكانت تترنح من الألم. وراحت الدموع تتساقط حتى ظفيرتيها الصغيرتين. «وقد سقيتُ معزة عجوزاً. أربعة ديكة وحقلاً لزراعة البطاطا... لقد سكبت كل ما لدي من ماء.. لم تبق لدي قطرة ماء واحدة....»

-«الماء يتساقط....» جاء صوت زوجة صاحب المتجر من الأسفل.

حينذاك فقط انتبهت رغد الى ان أرض الغرفة الملأى بالشقوق والفجوات، كانت تسبح بالماء.

ثم سمعت رغد صوت أقدام تتسلق السلم كالمجنونة، حتى ان

السلالم راحت تئن تحت وقعها.

-«انها هذه الفتاة الحمقاء! يجب أن اعطيها در....ساً...»

تدفقت الكلمات غاضبة مزمجرة من فم زوجة ميلكواير.

سوف.. أض....» ولم يستطع ميلكواير ان يتم جملته من شدة غضبه.

-«اهربي.. هيا»، همست رغد على عجل وهي تتجه صوب الجدار تحتمي به.

فتحت الباب على مصراعيها. ووقف صاحب المتجر وزوجته عند فتحة الباب.

ووقع ضوء القمر على وجهيهما وعلى يديهما ذات الاصابع المتشنجة.

اندفع ميلكواير الى الغرفة بخطوات غاضبة في اتجاه رغد لكنه توقف فجأة متسمراً في مكانه.

-«آ..ه» صرخ في رعب وهو يقع على ركبتيه.

لم يكن ينظر الى رغد، بل الى شيْ خلفها، استدارت رغد بصورة غريزية ونظرت في الاتجاه نفسه.

هناك، على حافة النافذة، كان يجلس أُسد ابيض، في هدوء وهيبة، دون ان يلقي بالاً الى ما حوله. كان يحني رأسه ويلعق راحته بلسانه. ثم تثاءب الاسد، ووقع ضوء القمر على اسنانه التي بدت كالفضة. وخرجت من فم الأُسد شعلة صغيرة من

البرق متجهة الى السطل.

ارتجفت ساقا زوجة ميلكواير كأنها ملاعق خشبية. بعد ذلك ، اسرعت المرأة وزوجها خارجين من الغرفة.

تأوهت السلالم تحت ثقليهما ، ثانية، ثم اغلقت الباب من الاسفل، وخيم السكون التام.

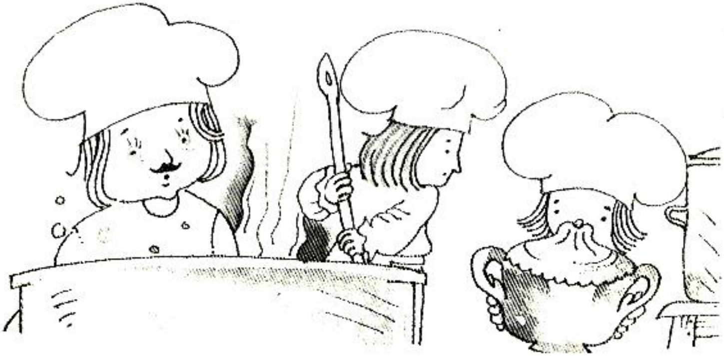
اطلق الاسد الجالس عند النافذة ، تنهيدة عميقة.

-«كنت أعرف أن الأُمور لن تسير على مايرام»؟ قال الأُسد وهو ينظر من النافذة الى القمر. «ولكني لم أُكن أُريد أُن يحدث ذلك لك. انتم البشر تختلفون عنا نحن السحب والغيوم. لا أُدري لماذا يجب ان يكون لديكم سقف فوق رؤوسكم. واذا كانت هناك فجوات في السقف، فلن تعرفوا الراحة الا بعد اغلاق كل فجوة، او فتحة. رفع الاسد رأسه في حزن وأضاف، «ولكن بعد ماحدث الان، لن يكون لديك سقف فوق رأسك سوف يطردك سيدك وزوجته من البيت. والان، هل تستطيعين ان تنزلي على اطراف اصابعك الى الطابق الارضي؟»

هزت رغد رأسها بالايجاب.

«سوف اطير خارج النافذة» قال الاسد، «وانتظرك في المنعطف».

الفصل الرابع



باربانوت

في ذلك المساء، كان هناك صخب وهياج وحركة دائبة في المطبخ الملكي. لم يحدث لها نظير من قبل.

كان عدد من الفتيان العاملين في المطبخ، بقبعات بيضاء أكبر من أجسامهم. يتراكضون هنا وهناك، بينما رسمت قبعاتهم الكبيرة ظلالاً على الجدران مثل نباتات فطر عملاقة.

وفي زاوية من زوايا المطبخ، جلست خمس سيدات يذرفن الدمع. ويمسحن انوفهن بمناديل من قماش الدانتيل.

وقف كبير الطباخين. وكان رجلاً متعكر المزاج وسكب بضع قطرات من دواء مهدئ في قدح صغير. وكان يتمتم قائلاً:

-«عندما اكون متوتر الاعصاب، فاني اعمل حساءً متوتراً، وحلويات سيئة الطعم.» رفع احد عمال المطبخ ذراعه،

فاصطدمت بالقدح، فانسكب منه الدواء.

اشتد غضب رئيس الطباخين على الفتى فضربه على قبعته الكبيرة، التي انبعجت فوق رأسه، فجلس الفتى المسكين على الارض منزوياً.

تتابع الخدم، واحداً اثر الاخر، يحملون أطباقاً مصنوعة من الذهب ، ودخلوا المطبخ، وحملوا معهم اخباراً فظيعة.

—« لقد رمى صاحب الجلالة الفطائر في الحساء! »

—«كلا.. لم يفعل ذلك! بل انه سكب الحساء فوق صحن الفطائر! »

وتتويجاً لكل ذلك، اندفع رجل مغطى بالثلج الابيض من رأسه الى قدميه وسط المطبخ! ولكنه لم يكن رجل الجليد، بل خادم مغطى بحلاوة الدقيق الابيض تماما.

—« غير متجانسة.. وفيها كتل» استطاع الخادم ان يقول من خلال حلاوة الدقيق الابيض التي غطت فمه.

—« غير متجانسة؟» ردد رئيس الطباخين، وقد استحال وجهه شاحباً تماماً.

«حقاً؟ ماذا؟ هذا لايمكن ان يكون! »

—«انها ليست غلطتي» قال الخادم باكياً. وتساقطت قطع من حلاوة السميد وانزلقت من اصابعه ويديه ، على الارض، «كنت اقدمها له فقط. بل ان جلالته تفضل وابتسم....»

–«أبتسم لك؟»

–«كلا لحلاوة الدقيق الأبيض. وتنازل جلالته ووضع ملعقة من الحلاوة في فمه ؛ ثم فجأة راح يصرخ ويصيح (غير متجانسة! فيها كتل!) ثم راح يتأوه، ويبصق، ويضرب بقدمه. ثم....»

رفع الخادم المغطى بحلاوة الدقيق الأبيض يده وأشار الى نفسه.

–« من الذي عمل الحلاوة؟»

تعالت شهقات السيدات الخمس، وسمعت أصوات افراغ انوفهن.

–«وأين بارباتوت؟»

–«أرسلنا سبعة وتسعين حمامة، وعربة مع سبعة حراس وقائد لجلبها».

دخل خادم، يبدو عليه الخوف وهو يرتعش.

– «صاحب الجلالة يريد حلاوة الدقيق الأبيض، الآن؟ في هذه اللحظة؟»

دخل خادم آخر راكضاً، وقال وهو يرتعش:

–«ان صاحب الجلالة يضرب المنضدة بملعقة؟»

استند رئيس الطباخين بظهره على الفرن، ثم فجأة راح يدور حول نفسه وهو يمسك أذنه بأصابعه التي احترقت، ويقول:

–«يجب الاّ أفقد أعصابي هكذا! اطباقي كلها والفطائر! سوف تفسد جميعا بسبب سوء مزاجي وفقدان أعصابي.»

—«أنهم قادمون! انهم قادمون» صاح أُحد الخدم الفتيان العاملين في المطبخ، وهو يقفز بانفعال قرب النافذة.

كانت هناك عربة تتدحرج فوق الجسر، وتبدو مثل قطة خائفة.

—«هيا! احضروا القدر المفضل لديها، مع مغرفتها القديمة.»

لم تمض دقائق، حتى شرعت الأبواب واندفعت بارباتوت الى المطبخ بسرعة قذيفة طائرة وفي الحال بدا الجميع أقصر مما هم في الحقيقة ؛ فقد أحال الخوف أرجلهم الى حالة سائلة تقريبا؟

كانت بارباتوت عجوزاً طويلة القامة، ونحيفة جداً. وكانت تغطي إحدى عينيها برقعة سوداء مما جعلها تبدو كالقرصان. اما العين الاخرى، فقد كان يشع منها بريق شيطاني غريب، مما أضفى عليها مظهر الساحرات. أما تقاطيعها الأخرى، فلم تكن أفضل مظهراً ؛ فالأنف الطويل المعقوف،

وضعت فوقه زوج من النظارات الانفية المكسورة، يمسكها خيط معلق فوق أذنها. أما شعرها، فكان مغطى بقبعتها، بينما ظهرت منه بعض الشعرات التي بدت مثل ريش الديك المنتصب.

وكانت بارباتوت ترتدي ثوباً عتيقا جداً وحذاءً باليا.

—«يالكم من كسالى ، خاملين اتخشون ان تتلوث ايديكم؟!»

بحركة واحدة، دفنت السيدات الخمس وجوههن في

تنوراتهن ؛اكتافهن فقط كانت تبدو للعيان، وهي ترتعش من البكاء.

-«حليب» صرخت بارباتوت.

أحضر الحليب في الحال سكبت محتويات الاناء المليْ بالحليب في قدر كبير وضع فوق النار.

-«ملح! سكر! سميد!» ارتفعت صيحات بارباتوت عبر حلقات البخار المتصاعد من قدر الحليب.

-«مزيداً من الوقود للنار!»

توهجت النار تحت القدر وجلست بارباتوت فوق مقعد مرتفع ومن خلال حلقات البخار الأبيض، كانت بارباتوت تنظر الى القدر، ثم راحت تحرك الحلوى بمغرفتها القديمة. كانت الفقاعات تكبر، وتكبر في القدر، ثم تنفجر، وتطلق صوتاً عالياً ، وكأن الحرب قد قامت هناك في داخل قدر الحلوى.

واصلت بارباتوت عملها في تحريك الحلوى بلا هوادة. انزلقت نظاراتها من فوق انفها وسقطت في القدر ؛ ثم تبعتها تبعتها القديمة.

-«انها جاهزة».

اخرجت قبعتها ونظارتها بواسطة المجرفة.اسرع خادمان بصحنين من الذهب ووقفا في إجلال. صبت بارباتوت الحلوى في الصحنين، بيضاء، رقيقة كأنها كريمة مخضوقة انسابت الحلوى

في الصحنين الذهبيين،كان أحد الفتيان العاملين في المطبخ واقفاً. فسقطت قطرة من الحلوى على أصبعه، فاسرع ولعق الأصبع. وأغمض عينيه وهو في منتهى السعادة.

رفع الخادم الصحن فوق رأسه، وخرج من المطبخ في هيبة.

-« بارباتوت العزيزة!» قال رئيس الطباخين في انفعال. «انت تعرفين ان حلاوة الدقيق من الطبق المفضل لصاحب الجلالة. والحلاوة التي تصنعينها رائعة، ليس لها مثيل. لاشك انك وحدك تملكين سر صنعها.

-«لقد ضجرت وسئمت...» تمتمت بارباتوت في كآبة، وهي تحرك أصابع قدميها التي ظهرت من حذائها البالي.

-«ماذا تعنين (سئمت وضجرت)»تساءل رئيس الطباخين في خوف ودهشة.

-«أنا بشر. أليس كذلك؟ لاشيء سوى حلاوة الدقيق الأبيض، يوماً بعد آخر؟! ليس لدي عطلة. اجازة! لقد سئمت!»

-«بارباتوت، عزيزتي.. لقد بدأت أصاب بالتوتر ثانية» قال رئيس الطباخين وصوته يرتجف.

-«ومن الذي قدم لي أية مساعدة؟»

-«ولكن....» وأشار رئيس الطباخين الى السيدات الخمس اللاتي اخفين وجوههن في مناديلهن ثانية ، وكأن المناديل هي

قطعة من أنوفهن.

-«هؤلاء؟» صرخت بارباتوت. «إن الحلوى تتطلب مواصلة التحريك، ذلك هو سر صناعتها. ولكن مجرفتي هذه ثقيلة جداً على ايديهن الناعمة. كلا ؛اني اقسم بآخر بقرة على الأرض، بآخر قطره حليب، بأني سوف أستخدم أول فتاة شحاذة تقع عليها عيني، كمساعدة لي، فذلك أفضل لي من هؤلاء!! آه.. أن الجو خانق جداً هنا.»

أطلت بارباتوت من النافذة. فوق الحدائق الملكية، وفي سماء خالية. أطل الهلال أصفر ذهبيا.

وتحت النافذة تماماً، في ممر مغطى بالرمل الناعم جلست ضفدعة كبيرة.

بدت الضفدعة مثل حقيبة جلدية قديمة كان جلدها اللامع يبدو متغضنا فوق ارجلها القصيرة. وكانت تجلس حولها ست ضفادع صغيرة يلتمع جلدها تحت ضوء القمر.

نظرت الضفدعة بعينين دائريتين كأنهما مصباحين الى بارباتوت، نظرة حادة متفحصة. ثم بدأت حنجرتها باخراج صوت قرقرة.

-«اما أن أكون قد بدأت أخرف، وافقد عقلي» قالت بارباتوت لنفسها، «او ان هذه الضفدعة تفهم وتعي كل شيء. فاني لم أرَ وجهاً بمنتهى الذكاء منذ وقت طويل.»

أخرجت الضفدعة صوتا آخر، ثم زحفت نحو العشب الناعم، تتبعها صغارها.

كانت ساعة المدينة تعلن منتصف الليل، عندما حملت العربة الذهبية بارباتوت الى بيتها الخشبي وبيت الحمام فوق سطحه.

شاهدت بارباتوت شخصاً يقف متكوراً عند باب البيت. وعندما امعنت النظر، وجدت أن ذلك الشخص هو فتاة نحيلة ترتدي ثوباً من القطع المختلفة الألوان. القى القمر ضوءه على وجه الفتاة وعينيها الخائفتين.

كانت تلك الفتاة هي رغد، بالطبع، التي وجدت نفسها أمام عجوز ذات مظهر مخيف، وعين واحدة. وكانت تضع فوق رأسها قبعة متصلبة كأنها علبة بسكويت. وبالطبع، فاننا لن نصاب بالدهشة، اذا تذكرنا ان هذه القبعة كانت تسبح في قدر حلاوة الدقيق!

-«هل انت بحاجة الى خادمة؟» همست رغد بصوت خافت، مرتعش.

-«كان الأجدر ان تسأليني ان كنت بحاجة الى لص؟» صرخت بارباتوت بصوت كالرعد، حتى أن نيران الشموع ارتعشت في البيوت المجاورة. ثم امسكت بارباتوت بيد رغد وسحبتها.

-«انا لستُ لصة!» هتفت رغد، وهي تحاول ان تتخلص من

نبضة رباتوت القوية.

–«اوه! حقاً؟» قالت رباتوت وهي تسخر من رغد الخائفة. «اولا انت تتسكعين حول بيوت الناس ليلا، واشارت رباتوت باصبعها، واستطردت، «ثانيا، عيناك تلتمعان»، واشارت رباتوت باصبعها الثاني، واستطردت، «وثالثا» فأن معدتك تصرخ من شدة الجوع، ورابعاً، انت تحاولين الهرب. بالطبع انت لصة!»

امسكت رباتوت بذراع رغد، وسحبتها الى داخل البيت، ودفعتها قرب الجدار، ثم سحبت منضدة ثقيلة ووضعتها امام رغد بحيث سدت عليها اي منفذ للهرب.

بعد ذلك اخرجت رباتوت دجاجة محمرة من الفرن، ووضعتها على المنضدة امام رغد، وصاحت فيها:

–«كلي هذه».

ثم ملأت قدحاً كبيراً بالماء ودفعته امام رغد، وقالت باللهجة نفسها.

–«أشربي هذا!»

من خارج النافذة، جاء صوت تنهدة ارتياح خفيفة اسرعت رباتوت الى النافذة، وألقت نظرة متفحصة لتتعرف على مصدر الصوت.

رأت شيئا ضبابياً ابيض على حافة النافذة.

–«من هناك؟» زعقت بارباتوت.

«هل تحب ان تتذوق طعم العصا؟» ولكن الشيء الضبابي الابيض، رمش بعينيه، وحلق في هدوء مبتعداً عن النافذة، واختفى في الظلام.



الفصل الخامس



روزيتا الضفدعة

لاشك انك تتساءل، أيها القارئ العزيز، وتعجب، كيف صادف ان تكون رغد واقفة عند باب بيت ارباتوت في مثل تلك الساعة المتأخرة. وكيف عرفت أن ارباتوت بحاجة إلى خادمة؟

قليلاً من الصبر، يا قارئي العزيز! فاننا أسرعنا الخطى بعض الشيء ؛ ويجب ان نعود الى الوراء قليلا.

لاشك انك تتذكر كيف انطلق صاحب المتجر وزوجته في خوف ورعب، خارجين من الغرفة العليا. ثم سألت السحابة رغد، ان كان بامكانها السير على اطراف اصابعها الى الطابق الاسفل. وكيف حلقت السحابة خارج النافذة.

حسنا.. هذا ما حدث بعد ذلك: سارت رغد على اطراف اصابعها، وبدون ان تخرج اي صوت. في الحقيقة، كان

باستطاعتها ان ترقص، وتقفز، دون خوف، فصاحب المتجر وزوجته دخلا غرفتهما، واقفلا الباب عليهما بالمفتاح، ودخلا تحت السرير ، وهما يرتعشان من شدة الخوف والهلع، بحيث ان الوسائد والاغطية تصورت ان هناك زلزالا!

وهكذا ، تركت رغد البيت بامان ورأت الاسد الابيض يربض في المنعطف، وضوء القمر يسقط عليه، ويتخلله ، بينما تراقصت قطرات من الماء في وسطه.

-«وماذا عن ممتلكاتك وحاجياتك؟» تساءلت السحابة.

-«إني لا امتلك شيئا» أجابت رغد بلهجة خجلى -«هذا جيد» قالت السحابة. «أنا ايضا ليست لدي أية ممتلكات. انني لا استطيع ان أفهم البشر ، انهم يحملون أكداساً واكداساً من الحاجيات والاغراض التي تملأ عربات كاملة، عندما يهمون بالسفر. وعندما يسيرون، تثقل أجسامهم وأيديهم مايحملون، فلا يرون شيئا مما حولهم... يجب ان يسافر الشخص خفيفا دائما».. خفقت السحابة برفق ثم سألت رغد: «هل تعرفين الطريق الى الحدائق الملكية؟»

-«وهل هناك من لايعرفه؟»

وهكذا بدأتا مسيرتهما.

سار الاسد الابيض ببطء ، وكأن وجود اربعة ارجل كان اكثر مما يحتاج.

–«أظن انني سأطير ؛ فأنا لست ماهرة في السير».

قفزت السحابة ببساطة ويسر وراحت تطير بمحاذاة رغد.

–«اني استطيع أن أشرب نصف ينبوع الآن»، قالت السحابة وكلها لهفة. ثم تساءلت: «اخبريني من أين حصلت على هذا الفستان المضحك؟».

–«اني اجمع الرقع وأخيطها في الثوب من الأسفل، وفي الكمين». اجابت رغد بصوت هادئ. «ان ساقي وذراعي تنموان باستمرار، مما يجعل الثوب قصيرا ؛ وهذه ليست غلطتي».

–«وماذا عن والدك ووالدتك ؛ فانتم البشر جميعاً عندكم أم وأب؟»

–«توفي ابي، وامي منذ زمن طويل.

اني لا أستطيع حتى أن اتذكرهما».

–«ولكن الصغار لايمكن لهم العيش لوحدهم ؛ فمع من تعيشين؟»

–«اني لا (أعيش مع) بل (أعمل)» قالت رغد. «لقد عشتُ دوماً مع الغرباء. عندما كنت صغيرة جداً وقبل أن أصبح قادرة على المشي، اخذتني امرأة كانت تقوم بحشو الوسائد والحشيات بالريش. كان الريش يتطاير في المكان كله، وكنت أحبو على الارض وأمسك بالريش وأجلبه لها. ثم عندما أصبحت قادرة على المشي، أخذني طحان غني الى بيته . كان بيته مليئاً بغبار

الطحين، وكان عليّ ان اكنس الارض من شروق الشمس حتى غروبها. وعندما اصبحت أكبر قليلاً، عملت عند امرأة تبيع الكباب المقلي ، وكنت اقضي الأيام أُنظف القدور والاواني الملأى بالدهن. ثم طردتني تلك المرأة من البيت. قالت اني سرقت قطعة من الكباب المقلي. ثم عملت...

-«أوه.. ياالهي!» سمعت رغد هذه التأوهات. فاستدارت لترى السحابة وقد تقلصت، وامتلأت بالتجاعيد. والدموع تتساقط منها، وهي جالسة في وسط الشارع بالضبط.

التقطت رغد السحابة، بيديها الاثنتين، وكانت خفيفة كالريشة.

-«كنت أتوقع الآ تسير الأُمور على مايرام» قالت السحابة وهي ترتعش تحت ضوء القمر. «لماذا اخبرتيني بكل ذلك؟ لقد ذرفت اخر ما لدي من قطرات!». قالت ذلك وهي لاتزال تجهش بمرارة وألم. التفت السحابة حول رقبة رغد.. وتساقطت بضع قطرات على ظهر رغد.

سارت رغد بخطوات بطيئة، وهي تتعثر لم تكن تستطيع ان ترى بوضوح. فقد كانت السحابة تزحف امام عينيها.

وسمعت رغد شيئاً يخفق قرب أذنها.

-« هذا قلبها...» فكرت رغد مع نفسها وعبرتا ساحة (البقرة الوحيدة). كل شيء كان هادئاً. فقط الساعات الكبيرة في متجر

صانع الساعات كانت تبعث أصواتا رتيبة وكأنها تردد لحناً لينام سيدها.

وكلما اقتربتا من الحدائق الملكية ، كلما ازداد ارتفاع القصور على جانبي الشارع. وكانت تطل من كل القصور نوافذ مزخرفة. بل ان بعض النوافذ وضعت عليها أصص فيها بعض الزهور. كانت تلك قصور الاغنياء. ففي تلك المدينة كان مقياس غنى الشخص. هو عدد اصص الزهور التي يمتلكها في تلك المدينة. يتحدث الناس فيقول احدهم للآخر:

-«هل عرفت؟! ان ابنتي ستتزوج رجلا غنيا.. لقد ابتسم الحظ لنا! تصور. انه يمتلك سبعة اصص من الزهور».

واخر يقول:

-«الحاكم العام يزداد غنىً ومالاً ؛ لقد اصبح يملك احد عشر من اصص الزهور».

-«ذلك المسكين، صانع المظلات ؛ لقد أفلس تماماً، فقد ماتت بالامس آخر زهرة عنده. المسكين ليس لديه النقود لشراء الماء لها...»

اخيرا، وصلت رغد والسحابة نهاية الشارع. دخلت رغد ساحة البلاط.

-«آه...! لقد ابتلعت كمية كبيرة من الغبار...» قالت السحابة وهي تتأوه. «لا أستطيع أن أقاوم اكثر من ذلك. احس بحرقة

شديدة في فمي... هل هناك الكثير للوصول الى الحدائق الملكية؟»

-«لقد وصلنا. هاهي». قالت رغد بهدوء. «انظري ،كل شيء مختلف هنا تماما ، كما في القصص الخيالية.»

خلف القضبان الثقيلة. انتصبت أشجار كثيفة. وبدت فضية تحت ضوء القمر. وانتشرت الزهور فوق العشب. وكانت الينابيع تتدفق بالماء وكأنها ملأى بالحياة.

انزلقت السحابة من حول رقبة رغد، واندفعت من فوق القضبان وارتمت في أحضان اقرب ينبوع.

كان هناك صوت قرقرة ينبعث من الينبوع. بعد ذلك . حلقت السحابة خارجة من الماء. وهي تبدو كبيرة. منتعشة. واستلقت على العشب الندي. وهي تتقلب في سعادة بالغة.

-«تعالي الى هنا. يا رغد العزيزة» هتفت السحابة بصوت ناعم رقيق.

-«انت تعرفين تمامًا أنني لا أستطيع ذلك».

قالت رغد ذلك وابتعدت عن القضبان. وأضافت «الكلاب الصينية الشرسة!» ان الحدائق الملكية تحرسها الكلاب الشرسة».

-«اوه.. تلك الكلاب السخيفة!».

قالت السحابة في لامبالاة.

أسرعت عشرة كلاب شرسة، قوية بسبب الغذاء الجيد

الذي تتناوله، وهي تهز ذيولها وتضرب العشب بأرجلها.

تمطت السحابة، ثم ارتفعت وحطت على غصن الشجرة؛ جلست فوق طير جميل ؛ ولكن الطير لم يتضايق بل راح يغرد ويغني الحاناً أروع وأجمل.

سحبت السحابة منديلاً أبيض، نشرته ثم تركته يسقط. وتطاير المنديل الابيض في الظلمة.

في تلك الاثناء، كانت الكلاب العشرة الشرسة، قد وصلت الى القضبان، التصقت بها، ومدت رؤوسها من خلال الفتحات. وقد ظهرت أنيابها وراحت تنظر وتنبح جائعة نحو رغد.

-«مياو»! ارتفع صوت رقيق.

استدارت الكلاب نحو مصدر الصوت هذا، سحبت رؤوسها من بين القضبان، وتقافزت مسرعة نحو الصوت.

ورأت رغد. عشرة أذناب تهتز غاضبة على الأرض قطة بيضاء كالثلج كانت تقف. وقد رفعت راحتها في استرخاء تام، وراحت تمسح قطرات من الندى من فوق ظهرها.

جلست السحابة فوق الغصن، وراحت ترقب القطة في رضا.

-«مياو!» رددت القطة في صوت أكثر حلاوة من قبل، ثم اختفت بين الظلال.

اشتد غضب الكلاب لهذه الاهانة التي لحقت بها لعدم إمساكها بالقطة، وصكت على أسنانها وانطلقت خلف القطة.

–«ممتاز.. ممتاز، يامنديلي العزيز! يالك من ذكي، وماهر! والآن هيا، تعالي إلى هنا».

دفعت رغد، نفسها من خلال القضبان. بحذر شديد، وأخذتها السحابة الى وسط الحدائق الملكية، وقالت لها «لاتخافي.. هيا.»

على مقعد صخري ، قرب حوض مليْ بالماء، جلست ضفدعة كبيرة جداً، وهي تتنفس بصعوبة بسبب تقدم السن، بينما كانت عيناها الجاحظتان ترمشان باستمرار.

–«الضفدعة روزيتا!» هتفت السحابة، واحتضنت الضفدعة في لهفة ومحبة.

امتلأت عينا روزيتا بالدموع من شدة الانفعال، تعلقت السحابة بالضفدعة، وراحت تقبلها بين عينيها. بعد ذلك جلست على المقعد الصخري الى جانبها. سعلت الضفدعة، وصرت كالشجرة العجوز:

«كرو.. كري.. كوا.. كرر كوي... فرر.. هرر... ما..ا.. كوا...»

–«ياالهي.. حقا؟.. لم أكن اتخيل...» قالت السحابة وهي تتنهد تستمع الى حديث روزيتا.

«ياله من ملك! يفعل ذلك! يأخذ كل الماء! أهم شيء.. وأجمل شيء.. وأفضل شيء.. يأخذه كله؟!»

كانت رغد تنظر الى السحابة في دهشة. كانت قد نفخت أوداجها وبدت كالكرة. وكان فمها يمتد بين أذنيها، بينما أصبحت عيناها جاحظتان. كانت السحابة تبدو مشابهة في الشكل للضفدعة روزيتا.

وكانت الضفادع الصغيرة تتحدث مع بعضها وتتقافز فوق العشب، وفوق قدمي السحابة.

وفي الحوض المليء بالماء، كانت هناك مجموعة من الضفادع الصغيرة جداً، ظهرت رؤوسها الصغيرة فوق الماء، والتمعت عيونها السوداء.

-«آه.. لقد كنت أتوقع ألا تسير الأمور على مايرام». قالت السحابة في صوت حزين. «على الأقل، المسكينة كان لديها سقف يحميها. صحيح انه لم يكن بيتاً بمعنى الكلمة ؛ لكنه أفضل من عدم وجود شيء البتة! والان، ماذا نستطيع ان نفعل؟ اخبرينا ياروزيتا الصديقة».

حدقت روزيتا برغد بعين جاحظة واحدة، ثم غمزت بها، بينما رفعت رغد رأسها في ارتباك. تمتمت روزيتا بشيء ما بصوت خشن، ثم سعلت.

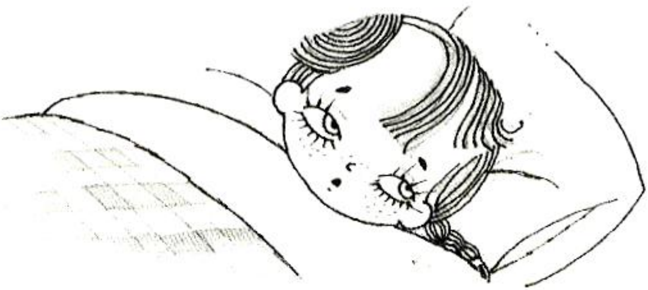
-«هذه فكرة جيدة!» قالت السحابة باهتمام، ثم استدارت نحو

رغد، وقالت:

-«ان الطباخة التي تعمل هنا تبحث لها عن خادمة فقط يجب ان تكوني أول شخص يمر أمام ناظريها».



الفصل السادس



عيد الميلاد

جلست رغد مستندة على سته وسائد ناعمة وغطت ساقيها بثلاثة اغطية ناعمة ودافئة وفي حضنها، وضع صحن مليء بالحلويات، بينما وضع الى جانبها على منضدة صغيرة كيكة لذيذة وعشرة شموع مضيئة.

شعرت رغد ان المكان خانق وساخن مدت يدها الى صحنها، وتناولت قطعة أخرى من الحلوى، من غير حماس، وراحت تأكلها ثم مسحت أصابعها التي تلوثت بالحلوى؛ لقد مر عليها أسبوعان منذ أن جاءت تعيش مع باربا توت.

كل صباح، كانت بارباتوت تتفحص رغد، ذراعيها وساقيها وجسمها كله، وتهتف:

– «لماذا لا تسمنين قليلاً؟» ثم تواصل بصوت باك: «أين الخدود المتوردة، والذراعان الممتلئان، والاصابع المدورة؟ انني

بحاجة الى خادمة، وليس الى هيكل! سوف تغرقين في القدر. ثم، كيف أستطيع أن أعطي المجرفة الى ابرة حياكة! مغزل!؟»

حاولت رغد ان تأكل أكثر، لكنها كانت تزداد نحافة كل يوم.

مشكلتها كانت في عدم مجيء السحابة لزيارتها. ولا مرة واحدة، طيلة تلك الفترة.

- «من المؤكد أنها نسيتني تماما. وحلقت الى الأبد. ولن أراها مرة ثانية ابدا. ثم انها عثرت على صديقتها الضفدعة روزيتا. فما حاجتها اليّ بعد الآن؟!»

«أود ان أعرف تاريخ ميلاد هذه المخلوقة قالت باربارتوت ذات يوم، وسألت رغد عن عيد ميلادها بعد ان اجبرتها على تناول صحن مليء باللحم المقلي.

- «لا أعرف»، اجابت رغد خائفة.

- «ما الذي تعنيه ب (لا اعرف)؟ صاحت فيها بارباتوت غاضبة. «متى هو عيد ميلادك؟»

- «لا اعرف... انا.. لا اعتقد بان لدي عيد ميلاد».

أجابت رغد في ارتباك.

- «ماذا تعنين بقولك (ليس لدي عيد ميلاد)؟؟» صرخت بارباتوت وقد احتد غضبها. «ان لم يكن لديك عيد ميلاد، فهذا يعني انك لم تولدي ابداً. وهذا يعني بانك غير موجودة ابداً.

فلماذا اذن ادفع أجوراً لخادمة هي في الاساس غير موجودة؟ انت ذكية يافتاتي. ولكنك لا تستطيعين ان تخدعيني. سوف يكون لديك عيد ميلاد؟ شئت ام أبيتِ. اليوم! اجل اليوم هو عيد ميلادك. وفي هذه اللحظة ايضاً!»

صمتت بارباتوت وراحت تفكر ماهي افضل طريقة لهذه الفتاة الكسولة للاحتفال بعيد ميلادها؟ بالطبع! ان تستلقي في الفراش وتأكل كل انواع الحلويات والمعجنات وهكذا كانت رغد جالسة في سريرها مغطاة بالاغطية الناعمة مع صحن مليء بالحلويات.

صعدت بارباتوت الى بيت الحمام لاطعام الحمام وهي تدمدم.

قضمت رغد القطعة الحادية عشر من الحلوى، وهي حزينة. فجاة غصت وسعلت. كانت السحابة قد دخلت من خلال النافذة. لم تتعرف اليها رغد في باديء الامر.

كانت قد اخذت شكل بوم أبيض كبير. ذو جناحين كبيرين وقد سقطت ريشتان منه على الارض. عندما دفعت السحابة نفسها من خلال النافذة الضيقة.

تربعت السحابة على مقدمة السرير الخشبية وراحت ترمش بعينيها.

ببهجة وفرح، راحت رغد تضحك وهي تسعل، في آن

واحد.

– «عليَ ان اربت على ظهرك؟ فهذا ما تفعلونه انتم البشر في مثل حالة السعال هذه، اليس كذلك؟» قالت السحابة بقلق.

– «ولكن، حتى لو فعلت ذلك، فلن تشعري به»

– «أوه... هذا انت!... أهلاً» قالت رغد وهي تحاول ان تتغلب على السعال. «ما أعظم فرحتي...»

طارت السحابة نحو رغد. خفقت الشمعات العشر، ثم انطفأت جميعها.

– «هذه الأشياء المزعجة!» هتفت السحابة غاضبة. وهي تخفق بجناحيها وتقف على قدم واحدة.

«كدتُ أغلي!»

– «هل أصبتِ باذى؟» سألت رغد في قلق.

– «اوه كلا. فقط إحدى الساقين ستكون أقصر من الأخرى. هذا كل ما في الأمر». وهزت السحابة إحدى جناحيها بلا مبالاة.

– «لقد ذهبتِ لرؤية البوم»، قالت لها رغد.

– «وكيف عرفت ذلك؟» تساءلت السحابة.

– «استطيع أن أعرف من مظهرك».

– «هذا صحيح، ونظرت السحابة الى نفسها، ثم تنهدت. «لقد قضيت الليل كله اتحدث معه. اني لا أستطيع أن اثبت على حالة

واحدة ولفترة طويلة. اشعر برغبة في التغير طيلة الوقت انني لا استطيع أن أفهم البشر: لماذا لا تشعرون بالضجر بسبب البقاء في شكل واحد دون تغيير؟ انه شيء يثير الملل... لوكنت مكانك، لغيرت شكلي واتخذت شكلاً جديداً كل يوم».

ولكن رغد لم تقل أي شيء، بل تنهدت وصمتت، تسلقت السحابة السرير وجلست فوق غطاء رغد قبالتها.

- «لمَ لمْ تأتي لزيارتي طيلة هذه الفترة الطويلة؟» تساءلت رغد في حزن.

- «كنت مشغولة»، أجابت السحابة في وقار. ثم زحفت في حضن رغد، وراحت تهمس في أذنها، وهي ترشها برذاذ بارد، وقالت «اطلعتني الضفدعة روزيتا على سر مهم للغاية! وعندما كانت تخبرني بالسر، تحولت الى مئة أذن، ورحتُ استمع اليها بكل اهتمام. وهذا ما يحدث كل يوم:

في كل ليلة، عندما تدق ساعة البلاط معلنة الثالثة، تبدأ الجداول في الحدائق الملكية تتدفق بالماء، وتفيض البرك والبحيرات بالماء، وتتصاعد النافورات متطاولة نحو السماء. ولكن لماذا؟ ومن أين يأتي الماء كله؟ لا أحد يعرف على الاطلاق. سألت الخفافيش، وزحفت الضفدعة روزيتا تحت الأرض، دون جدوى وسألت جميع الديدان في الحدائق الملكية. ولكن لا احد يعرف اي شيء عن الموضوع. ولا حتى فيلسوف

الليل...»

كان هناك صوت أقدام تهبط السلالم، وصوت تمتمة غاضبة. أسرعت السحابة وزحفت مختبئة تحت السرير. اندفعت بارباتوت الى داخل الغرفة.

– «لماذا لم تأكلي كل ما في صحنك؟ لماذا انطفأت الشموع؟ ولماذا يبدو الغطاء مبتلاً؟»

وقعت انظار رغد، على ريشتين بيضاوين على الأرض، وطرف جناح يظهر من تحت السرير، فتملكها ذعر شديد بحيث تصبب العرق منها.

الا أن باربانوت نظرت اليها، وتمتمت ببعض الكلمات، ثم اتجهت الى الباب. وقبل أن تخرج استدارت ورمت بقطعة نقود فضية صوب رغد وهي تقول:

– «اشتري لنفسك ثوباً جديداً، غداً. لقد سئمت من رؤية هذه الرقع فوقك».

تسللت السحابة من تحت السرير بعد خروج بارباتوت وهي تقول:

– «أوه... ماء مغلي، حديد ساخن.. مقلاة..!» وعندما خرجت السحابة كانت تبدو متطايرة، كالمنشفة! وكانت تضع قبعة صغيرة فوق رأسها بدون عناية، ونظارات على أنفها

– «ولكن. لماذا أنت في السرير، هكذا؟» تساءلت السحابة

– «في الحقيقة... اليوم هو عيد ميلادي» بدأت رغد تشرح للسحابة.

– عيد ميلادك! هذا رائع!» قالت السحابة في تفكير. «وبالرغم من أن الأُمور قد لا تسير على ما يرام، فان ذلك لا يعني ان تقضي وقتك في السرير أنني لا أستطيع أحتمال الوسائد والأغطية الصوفية! هيا، انهضي!»

– «ستذبحني، ان فعلت» قالت رغد في كآبة.

– «أم.ـم... ربما تخرج الى مكان ما؟»

– «تخرج؟! انها لا تخرج إلاّ عندما يرسلون لها الحمام. والحمام جالس الآن في اقفاصه في البلاط الملكي. عندما يرغب الملك في تناول حلاوة الدقيق الابيض» يخرجون الحمام من أقفاصه ليطير قادماً نحو بيت الحمام عند بارباتوت. ذلك هو الوقت الوحيد الذي تخرج فيه.

– «حمام؟» قالت السحابة في أسىً وأعادت:

هل قلت حمام؟»

ولدهشة رغد، سحبت السحابة القبعة التي كانت فوق رأسها، ثم قطعتها الى نصفين بكل هدوء.

سرعان ما تحولت كل قطعة من القبعة الى حمامة بيضاء ذات مظهر جذاب ومحترم. وجلست إحدى الحمامتان على مقدمة السرير وراحت تنظف ريشها. اما الاخرى، فقد حاولت ان

نلتقط بعض فتات الكيك.

خلعت السحابة مريلتها التي كانت ترتديها، وراحت تقطعها الى عدة اجزاء. وسرعان ما تحولت القطع الى سبع حمائم بيضاء ناصعة، انطلقت تتطاير في الغرفة.

تخلصت السحابة من خفيها، فتحولا الى حمامتين اخريين.

انها حمائم وليست دجاجات أليس كذلك.

- «اوه.. انها حمائم رائعة» أكدت رغد بمرح وسعادة.

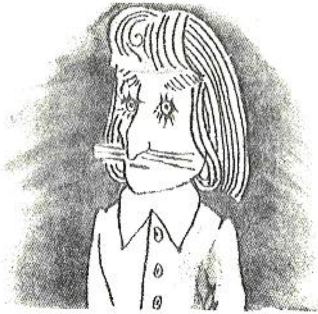
- «هيا، انطلقن..» رفرفت السحابة بذراعيها.

طارت الحمائم خارج النافذة، وهي تخفق باجنحتها وحطت على سطح البيت في حلقة دائرية.

- «اللعنة!» صرخت بارباتوت عند رؤيتها الحمام من مكانها في باحة البيت. «مزيد من حلاوة الدقيق الأبيض؟ انه يريد المزيد من الحلاوة. لقد اعددتُ له قدراً كاملاً هذا الصباح فقط! ولم يكلفوا انفسهم ارسال العربة لي! انتظر يارئيس الطباخين! سوف القنك درساً لن تنساه!».

- «لقد ذهبت!» هتفت السحابة بعد لحظات. «هيا اخرجي من السرير، هيا... وسوف نحتفل بعيد ميلادك على طريقة السحب».

الفصل السابع



اثنا عشر زبون في متجر ميلكواير

— «أين قطعة النقود الفضية؟» تساءلت «رغد». «لاشك انها تدحرجت تحت السرير. لقد سمعت صوت تدحرجها».

زحفت رغد تحت السرير، وأمسكت القطعة الفضية في راحتها.

— «تصوري! أستطيع شراء ثوب كامل بهذه القطعة المستديرة الصغيرة!».

— «شراء...» نظرت السحابة الى رغد باعجاب، وهزت رأسها بحزن. «ليست هناك سحابة تستطيع شراء شيء. هؤلاء الناس على الدوام يشترون ويبيعون أشياء كثيرة. اما نحن، فلا نستطيع ان نفعل ذلك ابداً.

وهذا ليس عدلاً أبداً... فاني أود أن أكون زبونة ولو مرة واحدة. ثم اني بحاجة الى شراء شيء مهم أيضاً. صدقيني، اني بحاجة الى شراء شيء مهم».

- «كلا، أنني سأشتري ثوباً بهذه النقود».
هتفت رغد.
- «فتاة طماعة». تمتمت السحابة في امتعاض، وارتفعت في فضاء الغرفة بعض الشيء. وكان هناك صوت دمدمة رعد غاضب تنبعث منها. «وانا لست صديقة للطماعين».
- «حسناً.. حسناً. خذي قطعة النقود. أنا لم أكن أعني شيئاً»، قالت رغد مسرعة.
رفرفت السحابة برفق وراحت تقفز وهي تهتز جذلاً. وصفقت بيديها، وانزلقت النظارات واصبحت تستند على قمة انفها فقط.
- «سوف اشتري بعض الأصباغ! علبة من الاصباغ. وسوف اكون اول سحابة تصبح زبونة».
- «ألاتودين التحول الى شخص آخر؟» تساءلت «رغد» في كآبة. «اني اعرف انك لست بارباتوت، ومع ذلك فمظهرك المشابه لها يجعلني اشعر بالخوف والارتباك...»
- «اتحول الى شخص آخر؟ بكل سرور وابتهاج،»
قالت السحابة في فرح.
طارت الى الاعلى، حتى لامست السقف. بعد ذلك انقسمت الى عدة قطع. وسرعان ماهبط أحد عشر كلباً صغيراً أبيض، وكلب من نوع أكبر، برفق وهدوء من السقف. وكان الكلب الابيض الكبير باذن واحدة فقط — من الواضح انه لم يبق من

السحابة مايكفي للاذن الاخرى.
- «لنبدأ جولتنا» قال الكلب الكبير بمرح، والذي كان من الواضح انه القائل. «سوف نذهب لرؤية ميلكواير في متجره. اني افتقده كثيراً.
- «اوه، كلا، لن نفعل!» هتفت رغد معترضة.
- «لن أكون صديقة للجبناء» قال الكلب الأبيض متأثراً، ثم وبانحناءة صغيرة حلقت الكلاب الصغيرة الاحد عشر في الهواء. «مهما فعلت لك، دائماً جوابك كلا... كلا!».
لم تجرؤ رغد على الجدال بعد ذلك.
خرج الجميع الى الشارع.
سارت الكلاب البيضاء بمحاذاة الشارع، وهي تتشمم الارض، والأسيجة. بينما سارت رغد في كآبة معها. وكان المارة يتوقفون وينظرون الى المشهد برهة طويلة قبل مواصلة سيرهم. وكلما اقتربت رغد ورفاقها من متجر ميلكواير، كلما ازدادت كآبة وخوفاً.

وبدأت تحس بألم شديد في رأسها. بعد ذلك شعرت بألم حاد في أذنيها، وعطست سبع مرات، بينما بدأ فكها السفلي بالارتعاش بشدة حتى انها اضطرت الى أن تمسك به.
- «هل تشكين من ألم في أسنانك؟» سألها الكلب الابيض بلهجة متعاطفة.

«انا أيضاً عانيت من ألم شديد في السن في أحد الايام؟ وراح الألم يزداد حدة.. بحيث لم أعد قادرة على الطيران. أوه، لقد كان الماً شديداً حقاً. لكنني لم افقد توازني.
تحولت الى زورق شراعي. والزوارق الشراعية ليست لها أسنان، كما تعلمين. واذا لم يكن لها اسنان، فلن تشعر بالام الاسنان. من المؤسف انك لاتستطيعين التحول الى زورق شراعي...»
ولكن رغد لم تكن تصغي الى ثرثرة السحابة. وظهر لناظريها، متجر ميلكواير. ولم تعد رغد قادرة على ثني ساقها، فواصلت مشيها وهي تعرج. بعد ذلك، تصلبت ذراعها ورفضت ان تنصاع لأمرها وتفتح باب المتجر.

ولكن، ليس أمامها اي مهرب. كانت الكلاب الاثنا عشر تتحلق حولها وتنفث هواء رطباً على ساقيها.

كانت «رغد» تتمسك بأمل اخير، هو ان يكون المتجر مغلقاً. ولكنها لم تكن محظوظة؟ ومن سوء حظها، كان ميلكواير وزوجته يقفان في المتجر.

ولدى رؤيتهما لرغد، أصيبا بما يشبه الصعقة لشدة دهشتهما؟ كأنهما قطتان تنظران الى فأر صغير أحمق يسير مسرعاً ليقع بين مخالبهما.

— «اعطني علبة من الاصبا...» ولم تستطع رغد ان تكمل جملتها. ثم رمت قطعة النقود الفضية، التي تدحرجت

وتدحرجت حتى وضعت زوجة ميلكواير يدها فوقها؟ وكأنها تمسك بفراشة تخشى أن تطير منها.

في تلك اللحظة، أمسك ميلكواير بذراع رغد بقوة.

ولو كان باستطاعتها ان تترك ذراعها في يد ميلكواير؟ شأن السحلية التي تترك ذنبها، لفعلت ذلك وهي راضية، بالرغم من ادراكها التام بعدم وجود أي أمل لنمو ذراع جديدة لها.

بذلت كل مالديها من قوة، وحاولت أن تسحب ذراعها من قبضة ميلكواير، لكنه بقي ممسكاً، وذهبت جهودها عبثاً.

— «دعني وشأني» صرخت رغد.

— «يالك من وقحة، غير مؤدبة»، قالت زوجة ميلكواير في صوت يشبه فحيح الافعى.

— «اعطني السوط، يازوجتي. انه معلق خلف الباب» قال ميلكواير — بصوت خال من اي اثر للرحمة. ولكن، وقبل ان تخطو زوجة ميلكواير خطوة واحدة، تقدمت الكلاب الاثنا عشر البيضاء في صف واحد، ودخلت المتجر.

— أسعدتم صباحاً، قال الكلب الكبير لصاحب المتجر وزوجته، بلا اهتمام، ودون أن يلقي نظرة واحدة على رغد، ثم راح ينظر الى موجودات المتجر. كذلك انطلقت الكلاب الأخرى تتفحص محتويات المتجر بدقة. «مارأيكم بشراء اثني عشر كوباً؟». تساءل كلب أبيض جميل.

– «أو مقص نحلق به فراءنا؟».
– «أو مئة دبوس؟».
– «أوه؟ ويجب الاّ ننسى الفرشاة والأمشاط!
فقد نسينا ان نشتريها في المرة السابقة».
كانت الكلاب مستمتعة تماماً بأداء دور الزبائن الغنية المترفة
– «ولكن جميع الاكواب في هذا المتجر مكسورة!».
قال الكلب الكبير باحتقار وهو يقفز قفزة عالية.
– والمقصات سيئة وغير حادة!» واصل الكلب الأبيض الصغير الذي كان يحلي ذنبه بربطة جميلة.
– «والدبابيس كلها معوجة!».
– «ياله من متجر حقير! حتى الأمشاط أسنانها مكسورة!»
اقتربت الكلاب من صاحب المتجر، ونظرت اليه، وفتحت أفواهها حتى ظهرت اسنانها البيضاء. كانت أسنانها ناصعة البياض وكأنها تفرشها صباحاً ومساءً كل يوم.
– «أوه، لقد تذكرت،» قال الكلب الأبيض الكبير، «اننا بحاجة الى بعض الاصباغ».
– «أصباغ» رددت الكلاب الاحد عشر الاخرى وهي تضع قوائمها على الطاولة الامامية.
وقعت زوجة ميلكواير مغشياً عليها.
اما ملكواير الذي كان يرتعش من رأسه الى أخمص قدميه، فقد

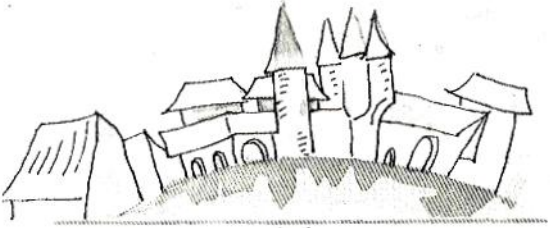
ترك ذراع «رغد»، وصعد فوق الرف في طاعة تامة، واصطدم بمجموعة من الاكواب والصحون والامشاط والمقصات التي وقعت تباعاً فوق زوجته الممددة على الأرض.

وضع علبة من الاصباغ على الطاولة. كان من الواضح انه مستعد للتنازل عن جميع مافي المتجر، حتى آخر ابرة فيه، دون ان ينبس ببنت شفة.

بالطبع، فان رغد لم تضيع وقتاً في الهرب من المتجر. ولسبب غير مفهوم بالنسبة لها، فان الألم اختفى تماماً من رأسها، وقدميها وذراعيها، كذلك فقد توقفت عن العطاس. امسكت علبة الاصباغ بيدها، وانطلقت خارجة من المتجر كالبرق .



الفصل الثامن



عيد ميلاد بأسلوب الغيوم

– «والآن ، إلى أين ؟» سألت رغد

– «سوف تعرفين في الحال» قال الكلب الأبيض الكبير.

انطلقت الكلاب مسرعة ، وتجاوزت مجموعة من البيوت المتداعية ، التي يبدو ان السبب الوحيد لبقائها واقفة هي انها لاتستطيع أن تقرر الى أية جهة تسقط ! كانت الكلاب تسرع أمام رغد متجهة الى حقل لزراعة البطاطا .

– «والآن اسمحي لي بتقديمك إلى صديقي القديم هذا ، حقل زراعة البطاطا» قال الكلب الأبيض بلهجة رسمية . ولكن رغد كانت تحدق بدهشة في حقل البطاطا .

«هيا ، قولي مرحبا» ، همس الكلب الابيض غاضبا ، «قولي شيئاً ما .. قولي له أنك سعيدة بمقابلته ..» .

– «مرحباً» قالت رغد في اضطراب موجهة كلامها لحقل البطاطا الممتد أمامها .

أسرعت جميع الكلاب نحو الكلب الأبيض الكبير. وتداخلت أرجلها ، ورؤوسها ، وبدأت تتحول جميعاً الى شيء ابيض غير واضح المعالم ، ثم تدريجياً تشكل رأس فيه ضفيرتان وأنف أفطس ، وجسم ممتلىء البطن وتتدلى من الحزام حزمة من المفاتيح ، يشبه جسم ميلكواير ، وساقين معوجتين مثل ساقي زوجة ميلكواير.

– «والآن قولي شيئاً يثيرني ويبكيني» ، قالت السحابة وهي تتنهد ، «يجب أن أتألم جداً الآن.

– «أثيركِ وأبكيك ؟» هتفت رغد في دهشة.

– «اوه .. يالك من حمقاء !» هتفت السحابة وقد نفذ صبرها. «أجل بالطبع ! يجب أن أتألم ، فأبكي ، وعندئذ يبدأ المطر بالهطول».

– «ولكني لا أحب أن أثيركِ وأبكيكِ» قالت رغد بلهجة متوسلة. «كذلك فاني لا أحتاج اليه .. المطر .. بل اني لا أعرف حتى شكله».

– «توقفي عن الثرثرة !» قالت السحابة وقد نفذ صبرها. «هيا ، قولي شيئاً – يثيرني».

– «ولكني لا أعرف كيف أفعل ذلك». قالت رغد ذلك. وكانت مضطربة تماماً.

– «لا يهم كيف. يكفي أن تقولي أي شيء ، مثل ، (أنا لم اعد

احبك) ..»

- «انا لم اعد احبك» كررت رغد كلمات السحابة .

- «ماذا !» هتفت السحابة وقد عقدت مابين حاجبيها ... وطرفت بعينيها ، ثم اندفعت الدموع من عينيها متدفقة . «هذا ماكنت اتوقعه . ولكني كنت أتعلّق بأُذيال الأمل ... وظننتُ اننا قد نصبح ..»

اندفعت السحابة الى الأعلى . حاولت رغد أن تمسك بها ، لكنها لم تمس الاّ فراغاً رطباً .

- «كفى !» هتفت رغد ، «أنتِ التي طلبتِ مني أن أقول ذلك !»

- «ولكن ، ماكان عليك أن تكرري تلك الكلمات !» وبكت السحابة بصوت مسموع ، وارتفعت إلى الأعلى أكثر واكثر .

- «انها غلطتك ! ولم أكن أتوقع ان تتألمي الى هذا الحد !» . قالت رغد باكية .

- «بل كنت تعلمين ، لقد أخبرتكِ بأني سوف أُتألم ...» . كان صوت السحابة الآن مثل الصدى وحملتها الريح وابتعدت عن رغد .

- «ولكنها ليست الحقيقة ، وأنا لم أعن بها شيئاً» .

ولكن السحابة لم تجب بشيء . كانت تمتد ، وتذوب . ولم تعد تشبه ميلكواير أو رغد ؛ بل أصبحت مثل حزمة من



الريش الأبيض المتطاير .

غطت رغد وجهها بيديها كي لاترى السحابة . ووقعت فوق حقل البطاطا الجاف ، وراحت تجهش بالبكاء ، وتسعل بسبب الغبار الذي دخل انفها .

— «لاتفعلي هذا» ، جاءها صوت ناعم ، فيه إحساس بالذنب . وأحست رغد بشيء رطب ، ضبابي ، باكٍ . يغطي رأسها .

— «أوه ! هذا أفضل ! عندما قلتِ لي (لم أعد أحبكِ) كدتُ أتبخر تماماً . هناك كلمات يجب الاّ تتفوهي بها ابداً . وتلك هي من هذه الكلمات» .

عطست السحابة في منديلها الذكي ، تنهدت بعمق ، ثم توقفت عن البكاء .

— «والان ، كيف سأشعر بالانفعال ؟!»

نظرت السحابة فيما حولها نظرة جادة ، ثم فجأة راحت تبكي في هدوء وهي تقول :

— «مسكينة حقول البطاطا ! يالك من مسكينة جافة ... لن ينمو فيكِ أي شيء . ولن تكوني خضراء ، مزهرة ....»

خفضت السحابة رأسها ، وكأنها تستمع الى نفسها : ثم فجأة تدفق شيء من داخلها وترقرق ، ثم راح ينساب .

— «كل شيء على مايرام الآن . لقد تأثرتُ» .

قالت السحابة بصوت رفيع . ثم ارتفعت .

تب .. تب ! سقطت قطرة كبيرة على أنف رغد . ثم سقطت قطرة أخرى على جبينها .

– «ماهذا ؟» تساءلت رغد في دهشة .

تب .. تب .. تب .

تعلقت خيوط فضية في الهواء . تساقطت القطرات على كتفيها ووجهها ... وابتل فستان رغد تماماً . مدت يديها . وضمت راحتيها على شكل كوب وجمعت بعض القطرات .

– «شكراً لك . ياسحابتي !» هتفت رغد فرحة وهي ترفع رأسها الى الأعلى .

تساقطت بضع قطرات من المطر في فمها . ضحكت رغد بفرح وبهجة .

انتشرت في الجو رائحة الأرض الرطبة وتكونت برك صغيرة بين نباتات البطاطا تلتمع تحت ضوء الشمس .

ارتفعت أصوات تتصايح :

– «من هنا أيها الفتيان !

– «ماء ينزل من السماء !»

– «ومجاناً ! !»

– «اسرعوا !»

قفز عدة فتيان من فوق السياج . وانطلقوا يتقافزون فوق

برك الماء ويشربون القطرات المتساقطة في ظمأ .

أمسك أحد الفتيان بذراع . رغد . وعندما التفتت ، شاهدت ولداً غريب الشكل – كان أسود اللون من اعلى رأسه الى أخمص قدميه : وجهه ، شعره ، سرواله ، وسترته . وكانت تجلس فوق رأسه حمامة سوداء ايضاً . وبالرغم من انه كان يقفز بصورة مستمرة ، فان الحمامة كانت واقفة على رأسه ، تصفق بجناحيها كلما قفز ، وتحافظ على توازنها .

وانطلقت رغد هي الأخرى تصيح ، وتقفز فوق برك الماء الصغيرة المتكونة من المطر .

– «انه مطر ! لاتخف !» صاحت بأعلى صوتها . «وهذه الأشكال المستديرة هي فقاعات» .

كانت الفقاعات ذات الوان مختلفة – الأحمر ، والأزرق والأرجواني . وقد قفز أحد الأولاد مصادفة ، فوق علبة الأصباغ التي تم شراؤها من متجر ميلكواير ، فتلونت الفقاعات بجميع الألوان .

وجاء صوت من الأعلى يقول :

« هذا هو ما اسميه احتفال بعيد الميلاد ؛ انه عيد ميلاد المطر ايضاً» .

الفصل التاسع

ثوب الدانتيل الابيض

– «من الذي سمح بذلك؟ من الذي أعطى الموافقة؟» صرخ صوت غاضب.

من خلال قطرات المطر المتساقطة بغزارة شاهدت رغد رئيس الحرس الملكي، ومعه اثنين من الحراس وهم يحملون رماحهم كانوا يركضون فوق الحقل المبتل، حيث كانت احذيتهم الثقيلة تغوص في الطين.

– «من الذي سمح بنزول المطر؟ انها خيانة عظمى! اوقفوا المطر حالاً.. حالاً صرخ رئيس الحرس الملكي.

– «ربما انت الذي يجب ايقافك عند حدك» قال صوت غاضب من الاعلى ثم تساقطت قطرات ثقيلة على رأس الكابتن وعلى كتفيه وعندما حاول ان يصيح ويصرخ، اغلق الماء المنهمر من

السماء ملا فمه . وملا عينيه لذا فقد اخفى رئيس الحرس راسه بين كتفيه وغطى وجهه براحتيه .

تراكض الاولاد المبتلون بماء المطر . وتقافزوا فرحين وقفزت رغد فوق سياج ونادت السحابة : «تعالي الى هنا .. اسرعي» ! اتجهت السحابة صوب رغد وعبرت السياج وحلقت بمحاذاتها .

— «امسكوا ذلك الشيء ! ذلك الشيء الابيض المستدير !» صرخ رئيس الحرس الملكي وهو يلهث .

اتجهت رغد والسحابة صوب منعطف صغير كانت السحابة قد اصبحت صغيرة جدا واصبح تنفسها متقطعا . واصبحت تطير على ارتفاع منخفض حتى اصبحت اخيرا تجر نفسها جرا على الارض .

وخلفهما كانت اقدام الحرس الثقيلة تسير مسرعة .

— «هيا . تحولي الى شيء ما . بسرعة !» هتفت رغد بالسحابة . «اي شيء» .

— «لا استطيع ان افعل ذلك بهذه السهولة» اجابت السحابة وهي تئن «يجب ان افكر اولاً . وان اركز» .

اقتربت اصوات الاقدام اكثر .

التفتت رغد الى الوراء كانت السحابة تجر نفسها خلف رغد ببضع خطوات اسرعت رغد اليها والتقطتها ثم ركضت مسرعة

نحو سياج قريب وجلست على الارض ، وراحت تشكل السحابة بيديها المرتعشتين .

شكلت منها رأسا صغيراً ، وجناحين ملتصقين بالجسم ولم يبق لديها مجال لصنع ذنب .

أسرع الحراس باتجاه رغد ، التي أسرعت وأخفت السحابة بمريلتها .

– «ماذا تخفين تحت مريلتك ايتها الفتاة الصغيرة ؟ صرخ فيها احد الحرس . وقام الحارس الاخر برفع مريلتها بطرف رمحه .

– «انها .. دجاجة جدتي» .. قالت رغد بصوت مرتعش .

– «م .. م ..» تمتم الحارس «انها دجاجة غريبة الشكل» ..

– «اذا كان هذا هو شكل الدجاجة فكيف يكون شكل الجدة ياترى ؟!» هز الحارس الآخر رأسه .

– «كفى ثرثرة !» صرخ رئيس الحرس الملكي بهما «اخبرينا ايتها الفتاة المتسولة ، هل رأيت شيئاً هنا ؟»

– «رأيت ماذا ؟» تساءلت رغد وهي ترمش بعينيها في دهشة .

– «انه شيئ .. شيئ ..» حاول رئيس الحرس أن يفسر مايعنيه وراح يحرك ذراعيه ويرسم بها دوائر في الهواء .

– «ماهو هذا الشيئ ؟ تساءلت رغد وهي ترمش بعينيها وتتظاهر بالبلادة .

– «أوه .. ما الفائدة من توجيه السؤال اليها !» قال رئيس

الحرس وقد نفذ صبره . انها غبية وبليدة ، ولا تعرف اي شيء ! »

سار رئيس الحراس ، ومعه الحارسان وتركا رغد .

اخذت رغد نفسا عميقاً ثم نظرت الى السحابة كانت هادئة وساكنة تماما .

– «من انت ؟» تساءلت السحابة في لهجة ملأى بالشك ، وهي تنظر الى رغد نظرة غريبة .

– «ماذا تعنين بهذا السؤال» هتفت رغد في دهشة .

– «آه .. لقد تذكرت كنت خضراء ذات اغصان ممتلئة ، وكنت تعيشين في الغابة» .. تمتمت السحابة .

– «ماهذا الذي تقولين ؟» هتفت رغد في خوف .

– «أوه .. أجل ... كنت تطاردين البراغيث وتمسكين بها ! »

– «أوه .. كلا ! لم أفعل ذلك أبداً ! »

– «اذن كنت تقولين تك .. تاك ، وتشيرين الى الوقت فوق برج المدينة» .

– «أي وقت ؟ ما الذي دهاك؟»

– «انا لااستطيع التعرف عليك» اجابت السحابة في حزن» لقد نسيت كل شيء انني اموت .. وداعاً» .

– «انتظري ! هتفت رغد . «لقد اعطيتك شراباً هل تذكرت؟»



– «اجل ... حدث شيء من ذلك ، تمتمت السحابة في تفكير عميق «شراب .. شراب .. انني أحمل الماء في رأسي ، ولكني سكبته كله لقد سكبت كل ذاكرتي كل شيء كنت اختزنه .. وداعاً» ...

– «انتظري لحظة !» هتفت فيها رغد في يأس . «انه عيد ميلادي اليوم وقد قلت انه يوم عيد ميلاد المطر» .

– اجل .. اجل .. لقد تذكرت ذلك الآن «اشرقت السحابة بعض الشيء ومي تقول ذلك .

– «ثم تحولت الى اثني عشر كلباً» ..

– «أجل .. انني اذكر ذلك أيضاً ..»

– «ثم ذهبنا ...»

– «كفى ! اصمتي ! لقد تذكرت كل شيء الآن ! لقد ذهبنا الى متجر ميلكواير.

– «نعم !»

– وأنت رغد» .

– «آه ! لقد وجدتك اخيرا يافتاتي ! ! كانت بارباتوت تسير بخطوات واسعة في الشارع . والشرر يتطاير من عينها الوحيدة . كانت قد ذهبت الى القصر لتوها . واكتشفت ان الملك لم يرسل في طلبها ولم يطلب اية حلاوة طحين وان رئيس الطباخين لم يرسل الحمام لها .

كورت السحابة نفسها وتحولت الى كرة . واختبأت تحت ذراع رغد .

تقدمت بارباتوت ببطء مما زاد من خوف رغد . ووقع ظلها على رغد التي انكمشت اكثر والتصقت بالسياج .

— «اين كنت طيلة الوقت ؟ هيا اجيبي !» قالت بارباتوت بصوت غاضب خشن .

- «كنت تبتاعين ثوبا لك» همست السحابة وهي تتململ .

- «كنت اشتري ثوباً ..» رددت رغد وهي تكاد تصاب بالشلل من شدة الخوف .

— «انت تكذبين ! اذا كنت تشترين ثوبا فيجب ان يكون لديك ثوب اين هو؟ دعيني اراه !» رفعت بارباتوت قبضتها امام وجه رغد وبدون تفكير . مدت رغد يدها لتتفادى الضربة ، وفجأة انبسط بين يديها ثوب أبيض من الدانتيل . هبت نسمات حركت الشرائط المنسدلة منه .

كان الدانتيل رقيقاً بحيث كان يبدو وكأنه سيذوب من شدة نعومته ورقته؛لاشك ان اية أميرة في العالم سوف يسعدها كل السعادة ان ترتدي ذلك الثوب الرائع .

— «انت اشتريت هذا الفستان... لك؟ لفتاة شحاذة ! فستان من الدانتيل !! لشحاذة مهلهلة ! وذو شرائط ايضا ؟؟ فستان ابيض !! أبعد مايكون عن الفستان العملي !» ولشدة غضبها لم

تستطع بارباتوت ان تكمل كلامها ثم مدت يدها لتمسك بالثوب .. ولكن أحداً سبقها الى ذلك .

وكان هذا الذي سبقها كلب صغير مسكين كان مخلوقا مسكيناً حقاً ! له ثلاثة أرجل فقط ، صغيرة ومعوجة ولم يكن له أي ذنب ولا أذنين وكان لشدة نحافته وهزاله يكاد يبدو شفافاً ولكن ذلك كله لم يؤثر على حيوية هذا المخلوق ، ونشاطه فقد قفز بكل نشاط وحيوية وأمسك بحاشية ثوب الدانتيل الجميل . بعد ذلك انطلق يعدو باسرع مايمكن ان تحمله ارجله الثلاثة .

وكان يسحب الثوب الذي تمرغ بالتراب .

— «ياله من حيوان مزعج !» صرخت بارباتوت بغضب وانطلقت تعدو خلف الكلب المشاكس .

وكانت على وشك أن تمسك بالثوب من طرفه . ولكن الكلب ضاعف من سرعته ، قفز فوق حفرة ثم تسلل تحت سياج واختفى .

الفصل العاشر



حدث مهم في وقت واحد

– «انني لا استطيع النهوض من النوم أبدا» قال الفنان فير ميليون في نفسه، ثم فجأة ادرك انه لن يستطيع ان يعود الى النوم ثانية.
– «حسناً، اذن فلن اعود الى النوم ثانية. ولكني لن افتح عيني لاي سبب من الاسباب».

كان يعرف ما الذي سيواجه عينيه اذا فتحهما: قطع من الزجاج المكسور المتناثر على الارض، اطارات صور محطمة، صور ممزقة الى اجزاء صغيرة.

في الماضي، كان الفنان فيرميليون يعيش حياة مرفهة. فقد كان شبان البلاط والرجال الاغنياء يزورون مرسمه من الفجر حتى الغروب، وكانوا يطلبون منه ان يرسم صورهم.

ولكن، بمرور السنوات، تعلم الفنان فيرميليون اسرار الفن

الاساسية. وبدأ ينظر الى العالم بعينين مختلفتين، بحيث اصبح يرى الجمال في اشياء اعتيادية: في قطعة من الصخر، او في اناء خزفي وبدون ان يتعمد ذلك، اصبح يرسم الاشخاص كما هم في حقيقتهم، وليس كما كانوا يودون ان يظهروا.

والشيء المدهش في الامر، ان الفنان لم يكن يفكر فيما يعمل، بل كان الامر يحدث من تلقاء نفسه. ولكن، كان الجبان يظهر في الصورة التي يرسمها له، جباناً، مهما حاول ان يبدو شجاعاً.

والمنافقون كانوا يظهرون على حقيقتهم، منافقين.

والمخادع، حتى اذا كان قد أفلح في اقناع الجميع بانه اكثر الناس امانة، فانه كان يظهر في الصورة مخادعا، بوضوح.

ومن البديهي، ان جميع هؤلاء كانوا يغضبون غضباً عظيما عند رؤيتهم لصورهم.

ولكن الفنان فيرميليون واصل حياته بطريقة ما. ثم جاء اليوم المشؤوم.. وتحطم كل شيء.

وتحطم الفنان تماما، وتحطم مرسمه.

ولكن، كيف حدث كل ذلك؟؟

في ذلك اليوم، كان سوء الحظ ملازماً للفنان. ففي الصباح، جاء اليه أحد الطباخين من بلاط الملك وطلب منه ان يرسم له صورته.

وكان هذا الطباخ يبدو مسالماً ولطيفاً في مظهره الخارجي. فقد كان وجهه ممتلئاً، وله ابتسامة جميلة.

ولكنه في حقيقته كان انساناً طماعاً وقاسياً، ولذا، فقد بدا في الصورة هكذا.

– «هذه ليست صورة بل فضيحة!» صرخ الطباخ وقد اشتد غضبه.

ثم سحب الفنان الى مرآة كبيرة معلقة على الحائط.

– «والان.. انظر ايها الفنان الفاشل، انظر الى وجهي المسالم الوديع، الى انفي الجميل، الى اذنيّ اللطيفتين! انظر الي كم انا شخص لطيف ومحبوب! وانت رسمتني بهذه الصورة! انها فضيحة وليست صورة ثم خرج الطباخ واغلق الباب من خلفه بقوة، دون ان يدفع فلساً واحداً للفنان.

شعر فيرميليون بالاجهاد الشديد، لذا فقد قرر ان يتمشى قليلا. سار في الشارع الرئيس، ثم عبر جسر النهر السابق، واتجه صوب ساحة النافورات المنسية.

كانت الشمس، مثل قطعة نار ملتهبة تغرب خلف أبراج القصرالملكي الشاهقة. نظر الفنان الى الشمس وقال:

– «ياله من منظر حزين وبائس – شمس في سماء جرداء» وفكر في حزن، «الغيوم في السماء تضفي منظراً ملونا وزاهياً على الغروب. من المؤسف حقاً ان الناس في هذه المدينة لم يشهدوا

غروباً جميلاً. لا شك ان هذا هو سبب شعورهم الدائم بالملل والضجر. وهو سبب سوء أخلاقهم».

حدق الفنان في السماء وعقدت لسانه الدهشة... فقد تغير كل شيء في السماء.. كانت هناك سحابة تتهادى في السماء. وبدت السماء فجأة وكأنها تردد اغنية عذبة. كانت السحابة رقيقة كانها نسيج الدانتيل. ولامستها خيوط شمس من اسفلها فغمرتها بالذهب المتألق.

— «انها تشبه البجعة. او زورق شراعي». فكر الفنان مع نفسه.»

«كلا. بل انها تشبه ثوباً من الدانتيل. اجل جل. ثوب من الدانتيل الرقيق. اما هذه القطعة من السحابة. فهي تشبه حيواناً ما... انها تشبه كلباً صغيراً ذا ثلاثة ارجل...» نظر الفنان فيما حوله. كان يتمنى ان يكون هناك شخص أخر يشهد هذه المعجزة.

ولكن. ولسوء الحظ. كانت الساحة خاوية تماماً.

فقد كان الرجال الاغنياء قد ذهبوا للنوم في مثل هذه الساعة؟ وكان شعارهم «نم اكثر. واشرب اقل».

فجأة. نهض سكان تلك المنطقة من أسرّتهم أو قفزوا منها. وفي كل بيت في تلك المنطقة. وقع شيء ما على الأرض. أو كسر شيء! وانزلقت قنينة المهديء من يد رئيس الضباخين.

وانسكبت على سجادة هادئة قرب سريره. «.. دنغ! دونغ.. هيا! اسرعوا! هيا انهضوا!!»

وليس من الصعب معرفة من كان وراء ذلك الاضطراب. انه الفنان فيرميليون فقد تسلق البرج وراح يقرع الاجراس وينادي.

سرعان ما تجمع الناس في الساحة. وكانت جميع الشوارع والطرق التي تقود الى الساحة ملأى باشخاص في ثياب النوم. وكانوا يسألون بعضهم بعضاً:

- «ماذا حدث؟»

- «حريق؟»

- «زلزال؟»

- «هاي! لماذا تقرع الاجراس؟» سأل رئيس حرس الملك، الذي كان قد اندفع الى الخارج. ولشدة اضطرابه حمل وسادته معه وكان الان يحتضنها، موجهاً سؤاله الى الفنان.

- «انظروا الى الغروب!» هتف الفنان من فوق البرج. «سحابة.. سحابة! انظروا الى تلك السحابة الجميلة الرائعة! أوه، أرجوكم انظروا اليها... انها تذوب! انها تطوف في السماء!!»

طلب رئيس الحرس الملكي من الجلاد الأعلى أن يمسك وسادته، ثم تسلق البرج وامسك بتلابيب الفنان، وجره الى الاسفل.

– «انا اعرف ماذا افعل بهذا المجنون» قال الجلاد الاعلى بصوت كالفحيح وهو يهز حزمة كبيرة من المفاتيح.

– «انا ايضاً اعرف ماذا يحتاج!» هتف رجل يبيع سم الجرذان، وهو يهز كيسه ولكن الفنان وقف بهدوء بينهم يستمع الى صوت الاجراس، ويبتسم.

– «لقد كنت اعرف انه رجل مخادع! لقد رسمني متعمداً واظهرني بصورة الرجل الجبان!» قال رئيس الحرس الملكي بحقد.

– «وانا رسمني مخادعاً!» قال بائع الأدوية وقد بدا عليه الارتباك لانه شعر بعدم لياقة ملابسه.

– «اما الصورة التي رسمها لي فانها تظهرني وكأنني شخص جاهل تماماً!» هتف مدير مدرسة الاطفال الاغنياء، الذي كان يعتقد جازماً ان حاصل ضرب اثنين في اثنين يساوي خمسة.

لذلك، فقد اتجهوا جميعاً الى مرسم الفنان. وحطموا المسند الذي يضع عليه لوحاته، ومزقوا الصور واللوحات.

كان ذلك ما حدث للفنان.

– «كلا، لن أُفتح عيني أبداً» قال الفنان لنفسه ثانية.

فرك فيرميليون عينيه، ولكنه، ولسبب ما كان يرى إناءً مليئاً بالماء.

تنهد الفنان وهز رأسه، ولكن الاناء رفض ان يختفي عن



ناظريه. وعندما انحنى الى الاسفل، أحس بقطرات من الماء تتساقط في قعر القدح.

واستمر صوت القطرات يلاحقه.

— «أوه. فهمت! انني ظمآن جداً. هذا كل ما في الأمر. وهذا ما جعلني اتخيل وجود الماء والله وحده يعلم متى وكيف سأحصل على شربة ماء. فليس في جيبي فلس واحد»فتح عينيه اخيراً، واستند على مرفقه، وراح يحدق فيما حوله بدهشة.

وكان منظراً يثير الدهشة حقاً! كانت أرضية المرسم مغطاة بالماء تماما. وكانت أجزاء الصور الممزقة تطوف فوق الماء وتهتز برفق. كان أنف التاجر يسبح في ناحية، وفي الناحية الاخرى كانت اجزاء الصور تحمل عيني البقال المخادعتين، بينما كانت اذن الجلاد الأعلى تسبح في ناحية اخرى.

كان الماء في كل مكان: في الاكواب، والصحون، وفي السطل. وحتى في الكشتبان الصغير الذي تركته خطيبة الفنان في المرسم وهي خياطة فقيرة ولكن ذلك لم يكن الأمر الأكثر غرابة.

ففي كرسي مريح، راى فيرميليون الفنان نفسه جالساً بلا مبالاة، وقد وضع ساقاً فوق ساق.

وبالرغم من انه كان أبيض تماماً من رأسه الى أخمص قدميه، وانه كان شفافاً. ولكن، مع ذلك فان الشكل الذي كان أمامه، كان شكله بدون أي شك. شاهد الفنان الشعر

نفسه، الوجه، البلوزة وحتى النظرة الحزينة نفسها! من المستحيل ان يكون مخطئاً.. انه هو!!

– «ارجو أن تدرك، باني جئت اليك لأمر هام جداً. ولم آتِ لقضاء الوقت»، قال الرجل الأبيض الجالس على الكرسي بهدوء.

– «حسناً» قال الفنان لنفسه، ولكن في صوت مسموع، «لا داع للذعر، ولا داع للصراخ والعويل. انه واضح وضوح الشمس: لقد جننت!»

– «انه شيء ممل حقا» قال الرجل الأبيض وهو يتنهد، وينظر الى السقف» في كل مرة، يجب أن أبدأ الحكاية من أولها، وأشرح، وأفسر كل شيء. من المؤكد انه سيسأل من أنا».

– «من أنت؟» همس الفنان من خوف.

– «انا السحابة. فقط السحابة» أجاب الرجل الأبيض بصوت ظهر عليه الملل.

– «واضح وضوح الشمس» قال الفنان لنفسه ثانية» عليَّ بالراحة، ومجموعة من الفيتامينات والابتعاد عن الانفعالات. وعندها ساشعر بالتحسن».

– «كنت أتوقع ذلك» قال الشخص الأبيض وقد نفذ صبره، وهو يتململ في كرسيه. «إن الأمر أسهل بكثير مع الأطفال. انهم يصدقون اي شيء، ويفهمون بسرعة. والان استمع الي جيداً.

ارجوك ان تهبط الان الى الطابق الارضي. سوف تجد فتاة صغيرة تقف عند الباب. فتاة اعتيادية تماماً. وقد شرحت كل شيء لها، وستقوم هي بتفسير وشرح كل شيء لك؟ فلاشك انك ستصدقها اكثر مما تصدق كلامي».

أسرع الفنان إلى الطابق السفلي. لكنه أستغرق وقتاً طويلاً عند صعوده، حيث انه ارتطم بشيء ما ووقع على الارض، ثم عاد وتسلق السلالم ودخل المرسم.

عندما دخل المرسم كان شكله مضحكاً جداً. كانت هناك كدمة كبيرة على جبهته، وبدا شعره مشعثاً! لكنه كان يبتسم بسعادة وفرح. لم يرفع عينه من السحابة، وكاد يرتطم بمنضدة أمامه وهو يسير متجهاً نحوها.

وكانت رغد تسير خلفه في حذر وتردد.

قال الفنان بهدوء :

— «انه شرف عظيم لي».

قالت السحابة :

— «انه أمر بسيط».

وأضافت :

«المستحيل يصبح ممكناً للفنانين..!».

— «ايتها السحابة العزيزة»، قال الفنان بانفعال، «كل شيء املكه هو ملك لك!».

– «اوه.. كلا» أجابت السحابة. «هذا كثير جداً. انني اريد فقط أن تساعدني في أمر صغير. قبل كل شيء آخر. هل تستطيع ان تخبرني عما يرتديه المسافرون الأغنياء؟

– «المسافرون؟ الأغنياء منهم؟...» فكر الفنان قبل أن يجيب قائلاً «بالطبع.. انهم يرتدون أحذية محلاة بالفيونكات . وسترة من قماش ثمين جداً، قبعة محلاة بالريش. وساعة بالطبع... اجل.. هذا مايلبس المسافر الغني».

قفزت السحابة برفق، وفي الحال ظهرت في قدميها زوج من الاحذية ذات الفيونكات الكبيرة.

– «قبعة مزينة بالريش...» قالت السحابة وهي تتنهد، ثم امسكت بيديها قبعة واسعة مزينة بريش ملون رائع...

ثم أظهرت أزرار لامعة على السترة. كانت رغد ترقب كل ذلك بشكل طبيعي وبدون تعجب، فقد كانت قد شهدت أموراً اكثر غرابة – ولكن الفنان كاد يغمى عليه من شدة الدهشة.. وكان يحرك ذراعيه ويفتح فمه...

– «اعتقد انني يجب ان أضيف لمظهري مسحة من الاحترام». تساءلت السحابة وبدا عليها التفكير العميق، وسرعان ماظهر شارب طويل ومحترم من تحت الانف. وبعد لحظات أضافت السحابة :

«هل أضيف مسحة من التعب والارهاق الى مظهري؟» ثم

استدركت..

«اوه كلا! أنني اشعر بالتعب عند مكوثي في مكان واحد فقط».

نظرت السحابة الى نفسها في المرآة.

ثم أضافت، «لاأظن أن عمري مناسب فالشخص الذي طاف العالم لايجوز أن يكون شاباً».

وسرعان ماظهرت تجاعيد عميقة على وجه السحابة، وبدا الأنف منحنياً.

«رائع...» هتف الفنان باعجاب، ولم يستطع ان يضيف شيئاً لشدة انفعاله.

- «أجل، المظهر ليس شيئاً...» قالت السحابة موافقة. «بقيت هناك واحدة صغيرة، لكنها مهمة، بل وجوهرية. فليس هناك مسافر ابيض اللون من رأسه الى قدميه».

- «حسناً.. أنني أستطيع أن أصيد...»

هتف الفنان بانفعال شديد، لكنه توقف خشية أن يكون في كلامه مايشعر السحابة بالاهانة.

- «هذا بالضبط ماأريده منك أن تفعل».

قال الشكل الأبيض.. وهو يبتسم: - «في الحقيقة كان عندنا بعض الاصباغ، لكنها ضاعت».

في خلال دقائق، تحول المرسم الى خلية نحل نشطة.

كان الفنان فيرميليون يلون السحابة بهمة وفن رائع. وكانت

تصدر منه التوسلات والتمتمات من أجل أن تبقى السحابة واقفة بسكون وتتوقف عن الحركة لبضع لحظات حتى يتم عمله. كان يلامس السحابة بفرشاته. ثم يقفز الى الوراء. يدير رأسه الى جهة. وينظر الى عمله الذي انجزه نظرة ناقدة.

واستعمل الفنان افضل أصباغه المائية. ولون الخدين بلون وردي جميل.

ثم ركع على ركبتيه. ولون الحذاء بالأخضر اللامع. وبعد ان وضع الفرشاة بين أسنانه. صبغ الجوارب ووضع لها حدوداً باللون الاسود.

وانفق الفنان كل مالديه من صبغ أزرق على قميص السحابة. ومالديه من صبغ أحمر وضعه على الثوب الداخلي. ثم صبغ الأزرار بما تبقى لديه من صبغ ذهبي. وكذلك ربطة الحذاء.

- «لم أر في حياتي مسافراً بهذا المظهر المترف والغني!» قال الفنان فيرميلون وهو ينظر الى عمله باعجاب.

أصلحت السحابة من وضع الرباط حول الرقبة. وبدا عليها الارتياح والرضى. ثم سرعان ماظهر على أصابعها الواحد تلو الاخر. خواتم مرصعة بماسات تلتمع كأنها ماء صاف.

- «أهم شيء الان لي هو المحافظة على شكلي الحالي». قالت السحابة وهي تضحك. «فكما تعرف. ان الماء في داخلي يتحرك

ويدور طيلة الوقت. واذا حدث وانزعجت او تأثرت، فأنّ اموراً عديدة، غير محمودة العواقب، يمكن أن تحدث. ولكن، لاتقلق. فاني لن انسى ذلك، وسوف أراقب نفسي مراقبة صارمة طيلة الوقت. لاأدري لم يعتقد البعض باني مهملة» وغير قادرة على التركيز. فانا لست كذلك أبداً. كلا، وسوف ترى. وسوف يسير كل شيء على مايرام!».



الفصل
الحادي عشر



كرسي يطير خارج النافذة

كانت هناك شائعات غريبة جداً تدور حول بلاط الملك فونتانياس الاول .

وكان البلاط في الحقيقة – أغرب بلاط في الوجود. ومن المؤكد – ايها القارئ العزيز – ان البلاط كان الاكثر رطوبة في العالم كله. بل انه كان مليئاً بالماء. ففي كل صباح كان الخدم يجمعون الطحالب النامية فوق الماء، والعفن المتراكم في الزوايا، وحتى على قبضات الابواب .

بالطبع ان الملك كان أغنى رجل في المملكة كلها. كان يقال ان الخدم اعتادوا سكب الف سطل من الماء فوق أرضية البلاط – كل صباح.

وليس ذلك بالامر الصعب التصديق.

فقد كانت أرض البلاط تسبح بالماء. نعم الماء! ماء حقيقي!

لذلك، فيجب الاّ تستغرب - عزيزي القارئ - اذا عرفت ان الجميع كانوا يرتدون أحذية خاصة، من المطاط، وذات كعب مرتفع.

وكانت هذه الأحذية.. خاصة بالطبع، ذات الوان جذابة، كالوردي، والازرق الفاتح، والبنفسجي. وكانت كعوبها دقيقة جداً كسيقان الأزهار!

حفلة واحدة من حفلات البلاط، يستهلك الحذاء بعدها ويصبح مليئاً بالثقوب!

ومن الطبيعي إن ذلك كان مفيداً جداً لبائع هذا النوع من الأحذية، الذي آزداد ثراءً؟ بحيث انه كان يضع اثنا عشر اصيصاً من الورد في شباكه، وهو أمر يدل على ثروة ليست قليلة.

كانت أقدام رجال الحاشية دائماً رطبة ومبتلة، لذلك كانوا مصابين بنزلات البرد دائماً. في كل زاوية من البلاط، كان هناك شخص يعطس، أو يسعل.

الوحيد الذي لم يكن يبالي بالماء والرطوبة، وكان يرتدي حذاء اسود من المطاط السميك، بكعب سميك وقوي، هو مستشار الملك الاعلى، واسمه (ذو الأذنين الكبيرتين).

كان (ذو الاذنين الكبيرتين) يتحدث همساً دائماً. لكنه كان

يلتقط أية كلمة تقال في غرف البلاط. بل انه كان يلتقط الهمس الذي يدور بين خدم المطبخ الصغار.

وكان رجال الحاشية يفزعون لمجرد ظهوره، او رؤية حذائه الاسود المميز. ولكن الملك فونتانياس الاول كان يحب مستشاره ويقربه اليه، ويثق به.

كانت غرفة العرش ملأى بالماء. وبشكل يفوق كل غرف البلاط الأخرى. كان الماء يتجمع عند أرجل العرش الكبير كأنه بحيرة.

وكان الشعار الملكي: السطل الذهبي مع العبارة المحفورة فوقه (الماء من ممتلكات الملك). كان في الجهة الخلفية من العرش.

أما في مقدمة العرش. فقد كان هناك حوض كبير من المرمر. مليء بماء نقي شفاف! وفي الحوض كانت أسماك حمراء اللون. دائرية العينين، تسبح في الماء بكل ترف وخيلاء. وكان رجال الحاشية يتجمعون حول الحوض يحدقون ساعات طوالاً في تلك الأسماك، حيث أن السمك كان من الحيوانات النادرة في تلك المملكة.

كان مظهر الملك فونتانياس الأول، مميزاً.

فقد توقف طوله عن النمو منذ فترة، لكنه أستمر في النمو عرضاً، بحيث ان بطنه كانت تصل ركبتيه تقريباً. وخداه

وذقنه كانت فوق صدره تقريباً .

- «ان مليكنا يشرب أكثر مما يجب بكثير!!».

قال رجال الحاشية لبعضهم في قلق، وهم يبتلعون الأقراص لمعالجة البرد .

- «عندما افكر برعاياي، وبانهم يحتاجون الى شرب الماء، فاني اشعر بالعطش الشديد، بسبب رثائي لهم!» قال الملك وهو يتنهد. «أنني أشرب كثيراً، لأني حساس أكثر من اللازم».

كذلك فأن وزراء الملك ومستشاروه يعانون من المرض نفسه. في كل يوم، كانوا يفرغون في بطونهم أعداداً هائلة من أكواب الماء والعصير حتى لايقوون على الحركة .

مستشار الملك الأعلى (ذو الاذنين الكبيرتين) ذو الحذاء الأسود السميك، هو الوحيد الذي كان يشرب الماء بالكشتبان، وكان نحيفاً كالمقشة .

في ذلك المساء، كان كل من في البلاط على درجة كبيرة من الإثارة.

ونسي رجال الحاشية أرجلهم الرطبة، وتجمعوا في مجموعات صغيرة - يتهامسون فيما بينهم.

- «وهل عرفت متى سيزور البلاط؟».

- «في التاسعة تماماً»

- «سمعتُ انه وصل على ثلاثة جمال».

– اما أنا فقد رأيتها بعيني، كما أراك الآن؛ثلاثة جمال بيضاء كالثلج الابيض».

– «ولكن، لماذا على جمال؟»

– «ما هو الغريب في الأمر؟ فالجمال تستطيع السفر لأسابيع دون ان تشرب شيئاً».

– ولكن لماذا بيضاء اللون؟»

– «حتى خدمه يلبسون ثياباً بيضاء ناصعة».

«هل هو غني جداً، هذا المسافر؟»

– «يقولون انه يملك ثروة عظيمة».

– «أنه يمكث في اغلى فندق في المدينة».

– «لقد رأيت حقائبه.. حقائب كبيرة بيضاء».

– ولكن، لماذا كل شيء أبيض؟».

– «وما المانع في ذلك؟».

في وسط تلك المناقشات الحادة، أطرقت الساعة الكبيرة في البلاط لحظة، ثم دقت تسع دقات. لقد كانت أذكى ساعة في العالم، وأكثرها حزناً.

كان صانعها هو أشهر صانع ساعات وقد قضى في صنعها عدة سنوات.

وعندما راها الملك، أعجب بها جداً، بحيث أنه طلب من صانع الساعات ان يعطيه هذه الساعة. ولم يحدث ابداً ان

تقدمت أو تأخرت في الوقت. لكنها، وفي كل مرة، وقبل ان تدق معلنة الوقت، كانت تطرق لحظة، ثم تدق وللمحافظة عليها من الرطوبة، غطيت الساعة بغطاء من الزجاج على شكل الجرس. استدار رجال الحاشية باتجاه الأبواب الرئيسة عندما بدأت الدقة الاولى.

وما أن أعلنت الدقة الأخيرة حتى فتحت الأبواب على مصاريعها، ودخل الصالة المسافر المهم.

انحنى المسافر انحناءة طويلة حتى لامس ريش قبعته الأرض المبتلة.

كان معطفه الازرق ملائماً له تماماً بينما التمعت الماسات المتألقة في أصابعه. وأعجب الجميع بوجهه الوردي المتألق. لاشك ان الهواء النقي هو السبب في ذلك اللون الوردي الجميل!

– «ماهي البلدان التي زرتها؟» سأله الملك.

– «أوه، بلدان عديدة، ومتنوعة!»

كان صوته رقيقاً، ولطيفاً. «تستطيع أن تقول باني طفت حول، العالم. ولكني لم ارَ في كل ترحالي وسفري شيئاً رائعاً كهذا! هذه الأرضية الرطبة، والسلالم! ماء في كل مكان! انه شيء فريد من نوعه! أنني شديد الأعجاب!».

وكان من الواضح أن المسافر يقول ذلك بصدق تام، وانه يعني ما يقول.

الماء يتساقط منه. «يبدو انني نسيت نفسي، أليسَ كذلك؟»

ترى، ما الذي كان سيحدث لو لم يظهر رئيس الحرس الملكي في تلك اللحظة عند باب القاعة؟!

كان يرتجف من رأسه الى قدميه. وكان يخطو بخطوات حذرة فوق الأرض الرطبة ويبذل جهداً كبيراً لئلا ينزلق فوق الأُرض. كان منظره مثيرا للسخرية.!

فقد كان أنفه يرتجف، مثل أنف الأرنب تماماً! بحيث ان الناظر اليه كان يتوقع أن يجد تحت القبعة الكبيرة التي وضعها فوق رأسه أذناً أرنب!.

— «سامحني ياصاحب الجلالة!... إنها غلطتي أنا... لقد حفروا بئراً آخر قال بصوت باك. فجأة انبعثت الحياةفي الرجل هتف احدهم:

— «مستحيل!!

— «هؤلاء الاوغاد!»

— «امس فقط حفروا بئراً في الشارع المنحني!»

— «وقيدوا الحراس!»

— «واليوم ايضاً؟!»

— «سوف يحفرون جميع الآبار عما قريب!»

— «انها مؤامرة قذرة!»

— «انه تمرد!»

– «ماء بالثلج!»

تناول رجال الحاشية الأكواب، وراحوا يشربون. وكانوا يذهبون الى الخارج من حين لآخر يستمتعون بمنظر السماء والقمر.

انحنى الخدم بكل احترام وقدموا الشراب للمسافر المهم لكنه القى نظرة ضجرة على الأكواب، وأدار رأسه ثم اتجه صوب الحوض الكبير المصنوع من المرمر، انحنى فوقه، ووضع شفتيه على الماء، وراح يشرب.

انتفخ خداه، وشحب لونهما.

كانت الصالة هادئة تماماً. وكان الضيف المهم يعب الماء ويحدث ضجة، ويتوقف بين حين وآخر يلتقط أنفاسه. وانخفض مستوى الماء في الحوض بشكل واضح.

بصعوبة واضحة، سحب الضيف نفسه من جانب الحوض، أغلق فمه، ونظر فيما حوله. خيم السكون على الملك ورجال الحاشية وجميع من في البلاط، وكأنهم تحولوا الى تماثيل صامتة.

كان بائع الأحذية يقف متسمراً في مكانه على ساق واحدة. وكان بائع الادوية قد فتح منديله، لكنه بقي متسمراً في مكانه، ونسي أن يمسح أنفه.

– «م. م..» تنحنح الضيف في توتر، ومسدّ شاربه الذي كان

فجأة، ظهرت فقاعة ملونة على شفتي الملك. عندما كان الملك ولدا صغيراً، قام في أحد الايام بابتلاع قطعة من الصابون، وذلك انتقاما من مربياته الخمس والعشرين. بالطبع، وضعت المربيات جميعهن في السجن في الحال. ولكن ذلك لم يحل الأمر.

فمنذ ذلك الحين، أصبحت الفقاعات الكبيرة تظهر على شفتي الملك لدى شعوره بالغضب او الاستياء.

وبالطبع، فان الصابون الذي ابتلعه صاحب الجلالة، كان من افضل نوعية، لذلك، فقد كانت الفقاعات كبيرة، لماعة، ودائرية وكانت تعكس الحوض المرمري، ضوء الشموع، ووجوه رجال البلاط. ولكن ذلك ضاعف من غضب الملك وثورته.

— «أغلقوا البئر! أغلقوا فتحته بالصخور! أسكبوا القير فيه! كلا، اسكبوا النحاس المصهور».

تطايرت الفقاعات في أرجاء الصالة. وتراجع رجال البلاط لتفادي هذه الفقاعات.

أطلق الضيف المهم أنيناً متوجعاً. ولكن أحداً لم يلتفت اليه.

— «أين البئر؟» قال المستشار الأعلى (ذو الاذنين الكبيرتين) بصوت كفحيح الافعى.

— «عند البوابة الشمالية» أجاب رئيس الحراس وهو يصرّ على اسنانه.



– «هل هو المكان حيث الصخور الثلاثة؟» تساءل الضيف المهم بقلق غير متوقع. وهو يخطو الى الأمام.

نظر اليه رئيس الحرس الملكي في دهشة وأومأ برأسه بالايجاب.

– «وحيث شجرة البلوط الشاهقة؟»

أومأ رئيس الحراس برأسه ثانية وقد ازداد عجبه.

بعد ذلك. قام الضيف المهم بعمل غريب للغاية. فقد بدا عليه الألم الشديد وراح يفرك يديه الناعمتين، واندفع نحو الملك وهو يقول:

– «أوه. ياصاحب الجلالة!! أرجوك ألاّ تفعل ذلك! انني اتوسل اليك. لا تملأ البئر بالصخور والأحجار!» ثم استدار الى ذي الاذنين الكبيرتين وقال:

«ذلك البئر هو صديقي الحميم! في أحيان كثيرة قضيت الليل عنده. وكان وقتاً رائعاً. والمكان بارداً ومنعشاً...»

تدفقت الدموع من عيني المسافر المهم، كأن دورقاً سكب. وبدأ يتغير بطريقة غريبة.

تحول لون خديه من الوردي الى الأخضر الغامق، بينما تغير لون الحذاء الذي كان أخضر كالعشب فأصبح لونه وردياً لامعاً. بينما أصبح لون أنفه غامق الزرقة.

كان أول من استعاد وعيه وجأشه (ذو الاذنين الكبيرتين)

– «اقبضوا على هذا الرجل !» همس المستشار .

– «انه مجرم خطير ... اقبضوا عليه !»

قفز (ذو الاذنين الكبيرتين) نحو المسافر ولكن هذا الأُخير قفز بخفة الى الناحية الاخرى .

اسرع الجميع الى الضيف .

وكانت قفزات المستشار الأعلى السريعة ، المفاجئة تذكر الناظر اليه بالخفاش ، بينما كانت حركات المسافر خفيفة ومتناسقة .

وكان المسافر يتغير مع كل قفزة . فقد تغير أنفه وأُصبح ذهبي للون ، يلتمع في جميع الاتجاهات . ولكن ، بعد القفزة لتالية ، اصطبغ جبينه بخطوط بيضاء وسوداء .

في احدى المرات ، كان ذو الأُذنين الكبيرتين قد قارب لامساك بالمسافر المهم من طرف كمه ، ولكن حدث في تلك للحظة بالذات ان حذاء المستشار انزلق من قدمه اليمنى . وبينما حاول الامساك بالحذاء ، قفز المسافر المهم الى الجهة الاخرى من لحوض المرمري .

لكنه وجد نفسه محاطا تماماً بالحراس من كل جانب .

كان المستشار الأُعلى يرتدي حذاءه بصعوبة وهو نافذ صبر ، وأُسرع باتجاه المسافر وهو يصيح ويوزع الأُوامر :

– «هيا ، اسرعوا ! ضعوا القيود في يديه ! هيا ، قودوه الى

السجن !»

ولكن المسافر المهم نظر الى المستشار الأعلى نظرة رثاء غريبة وقال في لهجة حزينة :– «كنت أتوقع أن تنتهي الأمور هكذا !» بعد ذلك أمسك المسافر بأذنيه ، قفز قفزة خفيفة وبعد أن حقق قفزة عجيبة من فوق رأس رئيس الحرس الملكي ، غطس في الحوض المرمري ، واختفى المسافر المهم في الماء .– «أمسكوه ! اصطادوا هذا الرجل !»

هتف ذو الاذنين بصوته الذي يشبه فحيح الأفعى .

أسرع الحراس نحو الحوض ، وراحوا يخبطون الماء بأيديهم وهم يفتشون عن المسافر.

– «لقد وجدته !» هتف احد الحراس ، لكنه سرعان ما اكتشف بانه كان يمسك بيد ذي الاذنين الكبيرتين .

كان المشهد مثيراً ! الماء يتناثر من الحوض ، وقفزت الاسماك خائفة من الضجة ، بينما انتشر الماء على وجوه وعيون الحراس والذين راحوا يمسكون بايدي بعضهم بعضاً ، أو يمسكون الاسماك ، يعتقدون في كل مرة انهم امسكو بالمسافر ، لعدم قدرتهم على الرؤية الواضحة بسبب امتلاء عيونهم بالماء المتناثر

اخيراً ، لم يعد هناك ماء في الحوض المرمري . وراح الجميع يحدقون في الاسماك الفزعة .

لم يكن هناك اثر للمسافر المهم في الحوض . لقد اختفى دون

ان يترك أي أثر ، وكأنه تبخر في الهواء ، بأنفه الوردي وحذائه الأخضر .

– «لا أستطيع أن افهم شيئاً مما يجري» قال المستشار الأعلى – ذو الاذنين الكبيرتين – وهو يضع يده على جبهته المبتلة . ثم جلس على كرسي وجده خلفه تماماً .

كان مظهر الكرسي مشابه تماماً لأي كرسي آخر في الصالة ، نفس الأرجل الدائرية ، نفس المسند ، ونفس القماش الحريري الذي يكسوه .

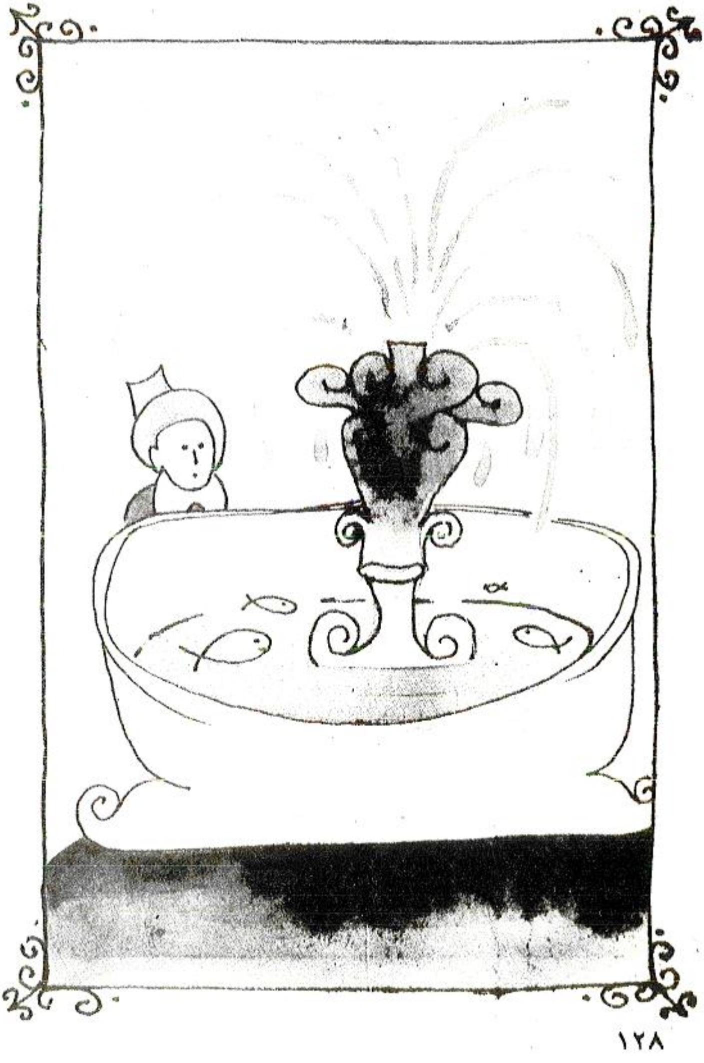
ولكن ، ولسبب غير معروف ، وقع المستشار الأعلى على الارض من خلال المقعد ! ووجد نفسه يجلس على الأرض .

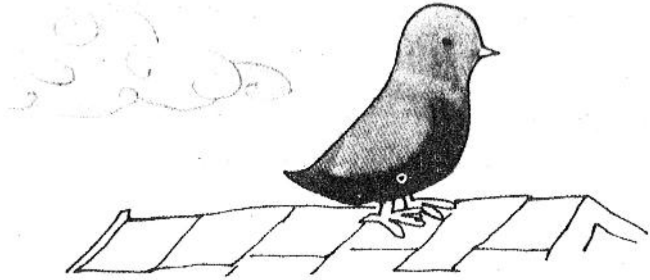
اعتدل المستشار الاعلى ورفع نفسه من الارض وقد تملكه فزع حقيقي .

ثم حدث شيء عجيب تماماً .

فقد ارتفع الكرسي عن الأرض ، وراح يطوف في سماء الصالة بكل هدوء وتراخ ! وبعد أن قام بدورة فوق رأس المستشار الاعلى ، حرك الكرسي ارجله وكأنه يقول وداعاً ، ثم حلّق بعيداً من خلال نافذة مفتوحة ! .

الفصل
الثاني عشر





الحمامة السوداء

– «هاي ، أيتها الفتاة المتاهلة ! أما ترين الحمام قد أرسل اليّ من البلاط ! ؟
هيا ، اطعميها ، ونظفي بيت الحمام . وسأذهب انا لعمل حلاوة الدقيق !» هتفت بارباتوت من باحة البيت نحو رغد .

وعند باب المنزل ، كانت الجياد السوداء تقف مستعدة وهي تضرب الارض بقوائمها .

وكان الحوذي يجلس في مقعده ، والقى بنظرة حذرة على بارباتوت ، التي تسلقت ودخلت العربة ، واغلقت الباب خلفها بكل قوة ! كراك ! وانطلقت العربة .

صعدت رغد الى بيت الحمام .

فجأة ، شاهدت رغد بين حمام بارباتوت الابيض الناصع ،

حمامة سوداء فاحمة السواد ، كأنك تضع يدك على عينك في ليلة معتمة .

امسكت رغد بالحمامة ، وراحت تربت على ظهرها وجناحيها . اصطبغت يداها باللون الأسود أيضاً . - «هذه ليست حمامتك ! أعيديها الي !» سمعت رغد صوتاً يهتف من الاسفل . وعندما مدت رأسها ، شاهدت رغد ولداً اسود اللون من رأسه الى اخمص قدميه ، فيما عدا قمة انفه .

- «لقد طارت الى هنا بنفسها» قالت رغد في تأثر . «انا لا اريدها . ارجوك ان تأخذها» .

تسلق الولد صاعداً الى برج الحمام ، بسهولة مدهشة .

لم ترَ رغد في حياتها ولداً بتلك النحافة ! وكأنه صنع من عيدان دقيقة تحت ملابسه السوداء . طارت الحمامة في الحال ، صفقت بجناحيها ، ثم وقفت فوق رأس الفتى .

ولكن الفتى ظل واقفاً ينظر الى رغد .

- «ما اسمك ؟» سألته رغد التي شعرت بانها يجب ان تقول شيئاً .

- «سوتي» ، اجاب الفتى مباشرة . «اني منظف مداخن . اني انظف المداخن في المدينة كلها .

سبعون مدخنة كل يوم . ان الظلام شديد داخل المداخن ، كذلك ، فانها ملأى بالدخان في بعض الاحيان ، يخيل الي ان

الليل قد هبط على العالم بصورة أبدية . لذلك ، فاني اتكلم مع حمامتي . انها تجلس في اعلى المدخنة ، بينما انزل انا لتنظيفها من الداخل . وهذا مايخفف عني ، وأستطيع عندئذ ان انظف السخام المتراكم .

– «اعتقد باني رأيتك من قبل» ، قالت رغد .

– «وانا ايضاً ، لابد اني رأيتك من قبل .

آه ، اجل ، عندما كان الماء ينزل من السماء . ماذا كان ذلك ؟»

– «انه هذا ! انظر !» واشارت رغد الى السحابة التي كانت تطل من خلف برج الحمام . كانت على شكل كرة ، لها فم يمتد من اذنها اليمنى الى الاذن الاخرى . وكانت ارجلها القصيرة تكاد تلتصق ببطنها .

– «ماهذا ؟» سأل سوتي بهدوء ، وكاد يتهاوى من فوق برج الحمام .

– «لاتسأل . انها لاتحب ذلك !» همست رغد مسرعة . «انها السحابة . اجل سحابة سوف اشرح لك فيما بعد» .

«سحابة !» قال سوتي وهو يبتسم بفرح ، مما جعل . ذرات من السخام تتساقط من خديه ، ومن اهداب عينيه .

قفزت السحابة نحو برج الحمام .

– «اسمحي لي ان اقدمك . اقدم لك السحابة . وهذا سوتي» .

قالت رغد بأدب .

لكن السحابة اطلقت بعض الأصوات غير المفهومة ، بينما راحت عيناها الدائريتان تدوران في جهات مختلفة . وازداد لونها عتمة . ودمدم الرعد غاضباً في داخلها . ودون ان تلقي نظرة على احد .طارت ووقفت فوق برج الحمام وراحت تشاكس الحمام .

في ذلك المساء ، اعدت رغد فراش السحابة تحت سريرها هي ، كالعادة . رتبت الوسائد ولكن السحابة ظلت جالسة فوق الدولاب وعلامات الغضب بادية على وجهها .

— «اني لا اريدك ان تعقدي صداقة معه ! وهذا مافي الامر !» قالت السحابة فجأة وبدون ان تنظر الى رغد .

— «حقا ! هذا امر عجيب !» هتفت رغد في اسى . «ولم لا ؟ انني وحدي طيلة اليوم . وانتِ تذهبين الى الضفدعة روزيتا وتقضين معها الايام الطوال . انت لا تهتمين بي ابداً» .

— «لا تنسي باني اذهب هناك لأن لدي مهاماً مهمة مع روزيتا الضفدعة» ، قالت السحابة بحزم .

— «ثم ، انظري كم اصبحت نحيفة! وداكنة !

لاشك انك لاتتناولين شرابك بانتظام بل تأخذين شربة هنا ، وهناك . لقد اصبحت غير اجتماعية . تسرعين الى فراشك حالما تصلين البيت . ولا تحدثيني بشيء على الاطلاق» .

— «وبماذا كنتِ تتحدثين مع ذلك الشيطان الصغير القذر ؟»

«انه ليس شيطاناً صغيراً اسود . ثم ، من اين يحصل على الماء لكي يغتسل ؟»

– «لاشك انه قال لك بانك جميلة ، أليس كذلك ؟»

تساءلت السحابة في غيرة وهي لاتزال جالسة في قلق فوق الدولاب .

«انه لم يقل لي أي شيء من هذا القبيل» .

– «حسناً ، لاتصدقينه . فانت لست جميلة» . قالت السحابة ، ثم أضافت بلهجة ملأى بالشك !

«هل اخبرك بانه سوف يتزوجك عندما تكبران ؟ ؟» .

– «ما هذا الذي تقولينه؟! لقد قابلته لحظات فقط» .

لم تقل السحابة شيئاً آخر. وأسرعت تحت السرير في كآبة وحزن.

وسمعتها رغد تتنهد تحت سريرها ، وتدمدم. عندما استيقظت رغد في الصباح التالي كانت السحابة قد غادرت.

ما أن خرجت بارباتوت متجهة الى البلاط ، حتى ظهر (سوتي) فجأة، وكأن الارض انشقت عنه ، اشارت رغد له بيدها ، فتسلق صاعدا الى برج الحمام.

– «لقد نظفت مدخنة طويلة جداً ، اليوم»، قال سوتي في عجل، ثم أضاف: «واخترعتُ بلاداً».

– «بلاداً»؟ رددت رغد، في دهشة.



– «لقد كان الظلام دامساً جداً في المدخنة لذا. فقد اخترعت هذه البلاد. لاخفف من حدة الظلام. وليصبح. كل شيء أقل سواداً».

قال سوتي. ثم أضاف «لن تضحكي مني. أليس كذلك»؟

– «كلا». وهزت رغد رأسها.

– «ربما. لا يمكن أن يوجد مثل هذا البلد. ولكن مع ذلك. فقد تخيلته. استمعي لي. في بلدي. هناك عشب كثير جداً. يغطي جميع المساحات. بحيث يستطيع جميع الأولاد والبنات. وحتى اشدهم فقراً. السير فوقه باقدام عارية. وهناك أشجار كثيرة جداً ايضاً. ملأى بأوراق خضراء. ويمكن لنا ان نتسلقها دون أن ندفع شيئاً.

– «رائع..» هتفت رغد. وأغمضت عينيها. فقد كانت تستطيع أن تتخيل البلاد بصورة أكثر وضوحاً وهي مغمضة العينين.

– «والماء كثير جداً في هذا البلاد. بحيث انه يحيط بها من كل الجوانب».

– «نسمي هذا الماء الكثير البحر. البحر كلمة جميلة الوقع».

– «حسناً. سندعوه كذلك. وهناك غيوم وسُحُب كثيرة في السماء. غيمة لكل شخص سأعطيك هذا البلد ليكون ملكا لك. انه لك هل أعجبك؟»

فتحت رغد عينيها. وهى تتنهد. وقالت:

— «جداً».

— «جداً.. جداً..» قال صوت غاضب. وسرعان ما حلقت سحابة مشوشة وممزقة من خلف برج الحمام. «فهمت الآن. لم أعد كافية بالنسبة لك. الآن اصبحت تريدين بلداً مليئاً بالغيوم!»

— «كنت تسترقين السمع!» هتفت بها رغد في لهجة ملأى باللوم والتقريع

— «حسناً. وما هو الخطأ في ذلك؟ اننا نحن الغيوم دائماً نسترق السمع. إنها ليست غلطتنا اذ كان الناس يقولون اشياء سخيفة وتافهة تحتنا».

— ومع ذلك. كان يجب عليك أن تقولي أنك هنا. وأنك سمعت كل شيء».

— «اذن. فقد أصبحت لديك أسرارك الخاصة الآن. أليس كذلك»؟ قال السحابة وهي توجه نظرات كأنها السكاكين نحو سوتي. «كنت أعرف أن الأمور ستنتهي نهاية سيئة. لقد كانت جدتي على حق، عندما حذرتني من عقد الصداقة مع أي من البشر! لا يمكن أن تكون نتيجتها حسنة».

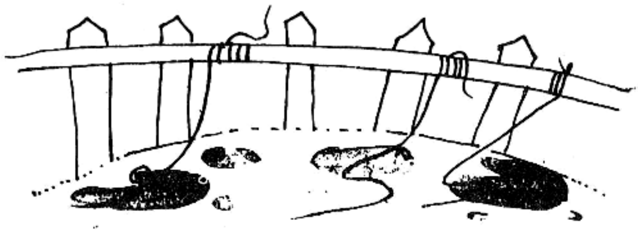
كان هناك شيء داخل السحابة يمور ويفور، كالماء الذي يغلي في اناء ثم سحبت اذنها بقوة بحيث انفصلت الاذن، وراحت تسبح بالقرب منها. وحلقت السحابة فوق برج الحمام.

– «وداعاً!» هتفت السحابة. «ولن أثق بأحد بعد الآن أبداً!»
– «عودي اليّ، عودي اليّ!» صرخت رغد بكل قوتها.

ولكن السحابة كانت قد مدت جسمها وتحولت الى أفعى كبيرة. واندفعت تطير وهي في غاية التأثير.



الفصل
الثالث عشر



من هو بحق السماء؟

كما تذكر، أيها القاريء العزيز، فان المسافر المهم اختفى بطريقة غامضة تماماً. ومرت عشر دقائق، كان خلالها كل من في القاعة في اضطراب شديد، ولكن، بعد دقائق خمس انطلقت فرقة من الحرس مسرعة خارج أبواب البلاط.

سارت الفرقة وهي تثير كميات من الغبار في شوارع المدينة. وكان الغبار يتراكم في سماء المدينة كأنه ثوب رمادي.

أحاط الحراس بالفندق الذي كان المسافر قد نزل فيه وفتشوه، لكنهم لم يعثروا له على أثر. كذلك، اختفى الخدم الذين رافقوا المسافر، بملابسهم البيضاء، وكذلك، اختفت الحقائب البيضاء الكبيرة. وكل ما تبقى من الجمال الثلاثة التي ربطت في الساحة الخارجية للفندق، هو ثلاثة برك صغيرة من الماء.

ومع ان احدى الخادمات، وكانت ضعيفة البصر اقسمت بانها رأت الجمال تطير عالياً الى السماء، والحقائب البيضاء تندفع طائرة من النافذة المفتوحة الواحدة بعد الاخرى. ولكن بالطبع، لم يصدقها احد.

دعا الملك الى اجتماع برجال البلاط وصل مستشارو الملك، ورجال الحاشية الى البلاط.

كان هناك عدد من المشتغلين بالكيمياء القديمة، بقبعاتهم المدببة، بين الذين حضروا، ممن انفقوا السنوات الطويلة يحاولون تحويل الملاعق الفضية والنحاسية الى الذهب. وكانت تفوح منهم روائح الكبريت، وكانوا ينظرون الى بعضهم نظرات ملأى بالشك.

كذلك، فقد حضر رئيس فلكيي البلاط، الذي اثبت أخيرا، وبطريقة علمية، أن نصف القمر والقمر البدر، هما شيء واحد.

وكان هناك شخص قصير القامة ممتليء الجسم، يسير مسرعاً في رواح ومجيء، وهو يضع يديه خلف ظهره. كان شعره اشعث، وتطل من عينيه نظرات شرسة كان هذا الرجل باحثاً مشهوراً جداً، فقد تخصص في شكل الحلوى المقلية. وقد خصص حياته كلها لهدف مهم هو: كيفية قلي حلوى مربعة الشكل في مقلاة دائرية! وقد صنع عدداً لا يحصى من هذه

الحلوى. لكنه لم يستطع ان يصنع واحدة مربعة الشكل.

أجل. ليس هناك شك، أن خيرة وزبدة المفكرين والمتخصصين كانوا حاضرين في ذلك الاجتماع المهم.

- «حسناً. أيها الحضور الكرام، ما هو رأيكم حول الموضوع؟» تساءل الملك في كآبة.

«ماهي هوية ذلك المسافر؟»

ولكن، حتى المستشار الاعلى - ذو الاذنين الكبيرتين، والذي كان يعرف ما يدور في كل زاوية من زوايا القصر، لم يستطع الاجابة على سؤال الملك.

- «صاحب الجلالة»، هتف خادم يرتدي بدلة ذهبية اللون، وقدماه مبتلتان.

«ثلاثة رجال يقفون في الباب، ويطلبون مقابلتكم بصورة مستعجلة. يقولون ان لديهم أخباراً مهمة جداً لجلالتكم».

أومأ الملك برأسه.

- «أدخلهم»، قال له المستشار الأعلى. كان ميلكواير هو أول من دخل البلاط. وعندما رأى الرماح والسيوف وأشياء اخرى كثيرة مدببة، أرتجف طمعاً وخوفاً.

- «انه من الرعايا المخلصين لجلالتكم» همس ذو الاذنين الطويلتين في أذن الملك. «اني لم أسمع عنه إلّا اخباراً حسنة».

- «صاحب الجلالة..» بدأ صاحب المتجر، لكنه كان يرتعد

بصورة غير ارادية. «اثنا عشر كلباً ابيض....»

— «ماذا؟» هتف الملك في استغراب.

— «احد عشر كلباً صغيراً من نوع «بودل» وكلب آخر من نوع اكبر هو (المونغريل)، وأسد على حافة النافذة!» قال صاحب المتجر بسرعة.

— «كلب من نوع (مونغريل) على حافة النافذة؟»

قال الملك وقد قطّب ما بين عينيه، وأضاف: «لماذا يسمحون للمجانين بمقابلتي؟»

— «كلا، ياصاحب الجلالة، أرجوك، اسمح له بمواصلة الكلام»، قال المستشار الأعلى — ذو الاذنين الكبيرتين — وهو منتبه تماماً.

— «انتشرت الكلاب في المتجر، ثم ابتاعت أصباغاً... والأسد كان في غرفة المخزن في العلية، وطار من النافذة! قال ميلكواير متعثراً وهو مدرك ان كلامه يبدوغريباً خالياً من أي معنى، طار من النافذة؟ همس ذو الاذنين الكبيرتين، «الكرسي ايضاً طار من النافذة! يجب ان تكون هناك علاقة بين الحادثين. هاي، اعطوه شربة ماء واسمحوا له بالذهاب».

كان صاحب المتجر يرتجف ولا يستطيع أن يقف معتدلاً، كأنه افعى مسكت من ذنبها. ولم يستطع ان يخطو خطوة واحدة، لذلك، فقد أمسكه الخدم من ذراعيه وقادوه الى

خارج الصالة.

دخل رئيس الحرس الملكي.

— «ماذا لديك من أخبار؟» سأله ذو الأذنين.

— «ماء ينزل من السماء، يا صاحب الجلالة!» قال رئيس الحرس الملكي بصوت كأنه النباح.

— «ماء من السماء؟» ردد الملك بلهجة قلقة وهو يلقي بنظرة على ذي الأذنين الكبيرتين.

— «لقد رأيته بنفسي! لقد كان ينزل بغزارة، وكانوا يرقصون!» قال رئيس الحرس، وكأنه كركدن يقف على قدميه الخلفيتين.

— «ماذا كان ينزل؟ من كان يرقص؟» قال ذو الأذنين بصوت كالفحيح.

— «المطر كان ينزل، والاطفال كانوا يرقصون في برك من الماء ياصاحب الجلالة!! وبأقدام عارية!»

تغير لون وجه الملك الى الأحمر الغامق. وانتفخت فقاعة كبيرة على شفتيه، ارتعشت قليلاً، ثم انطلقت في بطء في جو الصالة.

وقف رئيس الحرس الملكي بلا حراك، يرمش بعينيه للفقاعة الكبيرة التي اتجهت صوبه. وقد واجه الخطر بشجاعة بالغة، حيث استقبل الفقاعة بطرف انفه، وبقي واقفاً هكذا لايأتي بحركة.

- «هل سمعت هذا؟» قال الملك وقد استشاط غضباً. «أولاد شحاذون يرقصون في برك من الماء حفاة الأقدام؟! في مملكتي أنا - برك من الماء!! في مملكتي أنا - حفاة الأقدام ؟! ياللبشاعة! في برك من الماء... حفاة الاقدم!؟»

في تلك الاثناء. خرج رئيس الحرس الملكي، ودخل العم كلاك الذي يشبه البرميل.

وقد بذل جهودا كبيرة للانحناء للملك. لكن دون اي نجاح - فالبرميل لا يمكنه أن ينحني من وسطه. لذا، فقد وقع على الأرض. وبقي على وضعه دون أن يرفع نفسه، وانطلق يقول في نبرات باكية:

- «انهم لم يعودوا راغبين في شراء الماء!»

- «من هم الذين لم يعودوا راغبين في شراء الماء؟»

تساءل الملك وخرجت من فمه فقاعة أخرى. شديدة اللمعان ذات لون بنفسجي.

- «الأرملة التي تسكن في نهاية شارع الفقراء - هي أحدهم. والموسيقار الاعمى الذي يعيش في - الشارع الرمادي -. ومصلح آلات الأرغن. الذي مات قرده قبل فترة قصيرة - هو ايضا». قال العم كلاك.

- «ليذهب مصلح الآلات الى الحجيم». وأرسل الملك سلسلة من الفقاعات الزرقاء الصغيرة

– «لم يعودوا يشترون الماء مني – وهذا يعني انهم لم يعودوا يشربون»، قال العم كلاك وهو يبسط يده في يأس قال ذو الاذنين الكبيرتين في غيظ:

– «هذا يعني شيئاً واحداً... انه يعني أنهم يحصلون على الماء من مصدر آخر».

خرج العم كلاك يتدحرج خارجاً من الصالة،«ان صاحب الجلالة يرغب في الاستماع الى آرائكم، ايها السادة»! قال ذو الاذنين الكبيرتين بصوته المبحوح.

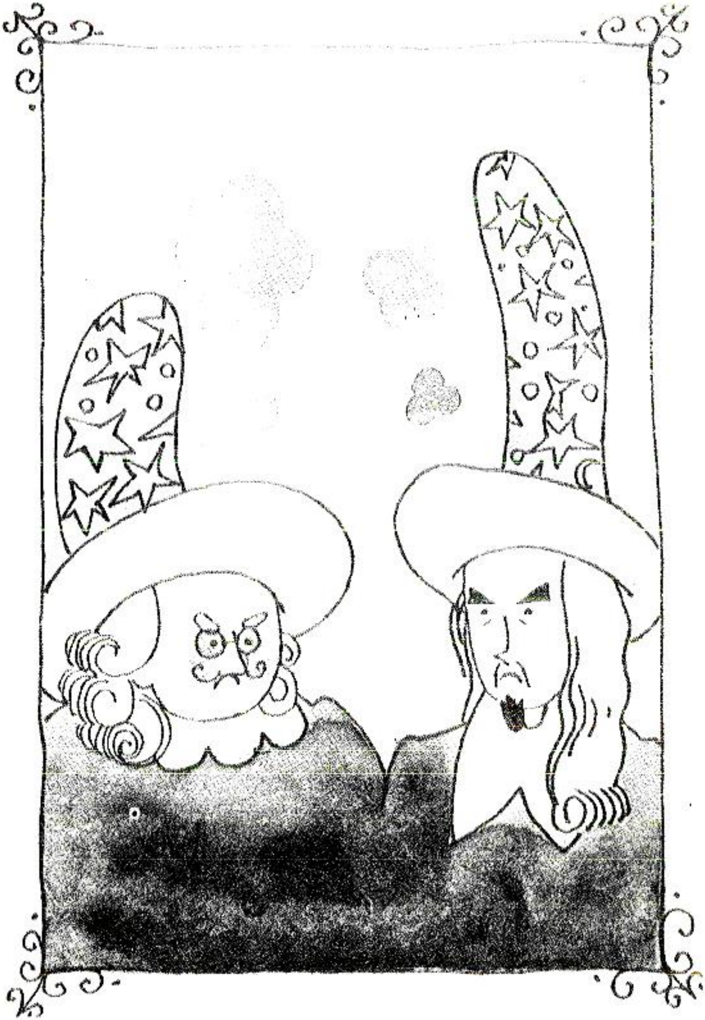
خيم صمت ثقيل على القاعة.

– «أنا أعتقد ان الجواب يكمن في التأثير المتزايد للقمر الذي اكتشفته مؤخراً، قال العالم الفلكي بصوت كنقيق الضفادع، وهو ينحني امام الملك لقد شعر بانه يجب أن يقول شيئاً وإلاّ فانه سيترك اثراً سيئاً ان لم يفعل.

نظر اليه ذو الاذنين الكبيرتين في صمت، فأسرع عالم الفلك وتوارى خلف احد الجالسين.

– «انا واثق» هتف الاخصائي،من عمل الحلوى المقلية والذي بدا شعره مشعثاً اكثر من ذي قبل «انا واثق ان هذه الحيوانات الطائرة هي نتيجة تخمر كميات كبيرة من العجين في الجو!»

– صاحب الجلالة، من الضروري الإمساك بأحد تلك الكلاب الطائرة، في الحال!» قال الاخصائي في الكيمياء القديمة، وكان



يرتدي قبعة مرتفعة مرصعة بالنجوم، «وعند ذاك سوف أشرّح الكلب الطائر وبمساعدة حامض الفضة، واخبرك عن تكوينه».
- ما هذا الجهل المطبق! » هتف اخصائي آخر بالكيمياء القديمة، يرتدي قبعة أكثر ارتفاعاً.
«هذا شيء لم تعرفه الكيمياء من قبل تشريح الكلاب الطائرة بحامض الفضة! هذا جهل مطبق ومشين! فالكلاب الطائرة يمكن تشريحها بمستحضر قلوي فقط. أي تلميذ في المدرسة يعرف ذلك!»
- «كلا. بل بمستحضر حامضي» صرخ الكيميائي الاول.
- «بل قاعدي!»
- «بل حامضي!».
وراح الكيميائيان يتباريان مثل ديكين.
- «لقد حدث شيءٌ غريب في الاونة الاخيرة»، همس ذو الاذنين الكبيرتين. خيم الصمت التام في القاعة. وسكت الكيميائيان واكتفيا بالقاء نظرات ملأى بالغضب والحقد على بعضهما.
«ربما سمعتم بالحادثة. فقد تسلق البرج فنان نصف مجنون يحمل اسم فيرميليون، وراح يقرع الأجراس. ليس ذلك فقط. بل راح ينادي ويطلب من الجميع أن يسرعوا لينظروا ويستمتعوا... بماذا في اعتقادكم؟».
- «بسحابة!» قال رجال الحاشية والبلاط بصوت واحد ملء

بالأسى .

- «لذا، ألا تعتقدون أن الجواب يكمن هنا؟ الا تتفقون معي بانه قد تسللت الى مملكتنا...»

- «سحابة» هتف الجميع بصوت واحد.

- «نعم».

همس ذو الاذنين الكبيرتين وكان يتكلم دائماً بهدوء وهمس والجميع كانوا يستمعون الى كل كلمة يقولها.

خرجت فقاعة كبيرة جداً من فم الملك، وبعد ان ارتعشت قليلاً على شفتيه، انطلقت تطير في الصالة وتعكس وجوه الحاضرين الشاحبة.

- «يالها من مصيبة!».

- «سحابة!»

- «في مملكتنا!».

- «ياله من شئ فظيع!».

- «كان كل شئ يسير على مايرام.. حتى..».

- «سحابة!».

- «انها كارثة!».

اندفع رئيس الحرس الملكي الذي يشبه الارنب، الى الصالة وهو يرتجف ويقول متلعثماً :

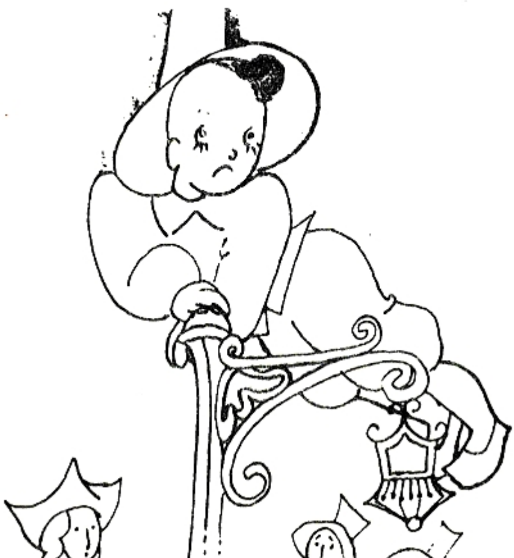
- «صاحب الجلالة! في ساحة البقرة الوحيدة... رجل احمر..

احمر من رأسه الى قدميه... يبكي... ويرش النبيذ في المكان كله... وقد اجتمعوا حوله. وعندما حاولوا القبض عليه... طار. اجل طار الى الاعلى وتعلق بالعمود... صاحب الجلالة، بالمقلوب... انه معلق هناك يذرف الدمع...».

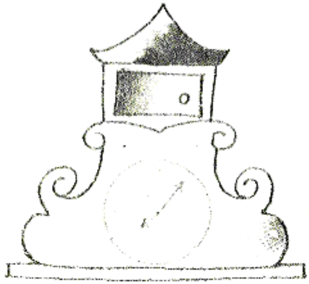
— «هذا هو!» همس ذو الاذنين الطويلتين واستدار الى الملك مباشرة ؛ وبدا ان عظامه تطقطق ببعضها.

— «ماذا؟» قال الملك. «اني لاافهم شيئاً..!».

— «انها السحابة!» قال ذو الاذنين الطويلتين، بهدوء شديد.



الفصل الرابع عشر



احداث غريبة في نزل البجعة

على الرغم من اسمها الحزين ، كانت ساحة البقرة الوحيدة من اكثر الساحات ضجة وحيوية في المدينة فقد كان الاسكافيون يدقون المسامير في الاحذية لاصلاحها والخياطون منهمكون في الخياطة والحدادون في اعمال الحدادة .

وكان اهدأ شخص في عمله ، هو صانع الساعات . كان يصنع اداواتاً دقيقة جدا ، دون صوت ، فقط مرة واحدة كل ساعة ، كانت طيور الوقواق تطل من الساعات الجدارية الكبيرة لتحيي صانع الساعات .

كان هنالك عدد كبير من الصناع الجيدين بين مواطني الملك فونتانياس الاول. وكان عليهم ان يعملوا ويكافحوا من اجل شراء شربة ماء وقطعة خبز لعوائلهم. وقد قدم لهم الملك بعض

الاشياء؟ مثل مقابض منمقة، بعض الدانتيل والتطريز، ساعات تضبط الوقت فلا تقدم ولاتؤخر ابداً، وانية لوضع الورد مزينة بصور جميلة.

كان الملك يشتري هذه الاشياء من ملوك اخرين، اضافة الى شراء الحبوب والخضراوات وكل شيء لايزرع في ارض مملكته المجدبة. ثم كان يبيع هذه الاشياء الى المواطنين باضعاف سعرها الاصلي. وهكذا، فقد كان الذهب يتراكم في خزائن الملك، بينما استمرت نيران الحدادين مشتعلة في محلاتهم، ومكائن الحياكة لم تتوقف عن العمل. وتمدد صانع الساعات على الارض لينام، بعد ان رفع العدسة التي فوق عينيه.

وفي وسط الساحة، كانت مجموعة من الاطفال يلعبون بالتراب، ويرسمون اشكالاً مضحكة فوقه.

كذلك، فان مقهى البجعة كان يقع في تلك الساحة، حيث اعتاد السكان الاغنياء التوقف عنده لتناول كأس من النبيذ.

كان صاحب المقهى رجلاً شديد البخل وكان فخوراً جداً برأسه الاصلع تماماً، والذي أفاد منه فائدة جيدة. كان يقوم كل صباح بمسح صلعته بقطعة قماش ناعمة حتى تصبح لامعة شديدة اللمعان مثل المراة، وكانت صلعته هذه تعكس اضواء الشموع، وبذلك يصبح المكان أقل ظلاماً. وبهذه الطريقة، كان صاحب المقهى يستخدم نصف عدد الشموع. وكان الشحاذ الوحيد

يقف عند باب المقهى بصورة دائمية. اما الشحاذون الباقون، فقد أمر الملك بوضعهم في السجن جميعاً.

– «المملكة لايمكن ان تكون مملكة حقيقية بدون شحاذين!» كان الملك فونتانياس الاول يقول:

«يجب ان يكون لي شحاذ؟ ولكن شحاذ واحد فقط!».

وقد اصبح الشحاذ الوحيد، ماهراً جداً في صنعته ؛ فقد تعلم اساليب التسول، من البكاء الى التوسل، واثارة الشفقة، بحيث انه اصبح من العسير طرده، إلاّ من الرجال الاغنياء فقط.

منظره وحده كان كافياً لاثارة الألم في النفس. لذا، فان الفقراء كانوا يتقاسمون معه اخر قطرات الماء التي لديهم، وعيونهم تمتلئ بالدمع شفقة عليه.

اما اليوم، فان الشحاذ الوحيد لم يواتيه الحظ.

كان يأمل الحصول على شيئ يأكله في مقهى البجعة، ولكن لم يكن هناك سوى رجال أغنياء شديدي البخل ؛ وهم العم كلوك، واللاعب الرئيس وصديقه، ورئيس الحرس الملكي، وبائع الاحذية في البلاط.

كان الشحاذ المسكين بحاجة الى قطعة خبز يأكلها. وشربة ماء! فالمسكين لم يكن قد تناول شيئاً طوال اربع وعشرين ساعة. ومن شدة جوعه واعيائه، فان المسكين لم يكن قادراً على

الرؤية الواضحة أمامه، لذا فانه لم يشعر بالدهشة عندما رأى رجلاً ناصع البياض يبدو عليه الحزن الشديد، وهو جالس على برميل من النبيذ في مؤخرة المقهى المعتم.

أما صاحب المقهى الذي كانت صلعته اللامعة تعكس ضوء شمعتين واحدة في الجهة اليمنى، والاخرى في الجهة اليسرى، فقد انشغل بملء أربعة أقداح بالنبيذ الأحمر.

وضع الأقداح الاربعة الى جانب بعضها على الطاولة الامامية.

شاهد الشحاذ الوحيد، الابيض يمد يده ويتناول الكأس الاول، يشربه كله في جرعة واحدة ويطلق تنهده عميقة، ثم يتناول الكأس الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع...

أصبح لونه الرجل الابيض وردياً غامقاً.

عندما رأى صاحب المقهى اختفاء النبيذ من الاقداح، وبصورة غامضة، أدار رأسه بسرعة، بحيث راحت انعكاسات الشموع تتراقص فوق صلعته.

ثم انه وفي غمرة اضطرابه، نسي ان يغلق الصنبور. اسرع الرجل الابيض، الذي استحال لونه الى الوردي الغامق وانحنى بصورة مقلوبة، ووضع فمه تحت الصنبور الذي يتدفق منه النبيذ.

– «حقاً! ! هذا أمر عجيب!» تمتم الشحاذ الوحيد وهو يصفق



بيديه .

ولم يستطع ان يمنع نفسه من الاستغراق في الضحك، ربما لأول مرة في حياته.

وحدق به كل من في المقهى ، ولذلك ، فان أحداً لم ينتبه الى الرجل الذي أصبح لونه وردياً وهو يشرب النبيذ ، حتى استحال لونه الى الأحمر الغامق .

- «هلا أخبرتنا من الذي أثار ضحكك؟».

صاح به بائع الأحذية بغضب وهو يرميه بعظم كبير .

- «ربما تجرأت وضحكت مني؟» هتف رئيس الحرس الملكي وقد استشاط غضباً، ورمى الوسادة التي كان يجلس عليها على الشحاذ الوحيد .

ولكن الشحاذ الوحيد كان يتفادى الضربات الموجهة اليه ، فقد كان بارعاً في ذلك .

- «انظروا الى انفسكم ، انتم أيها البشر!» ارتفع صوت حزين مليء بالعتاب . «ترمون بعضكم بالعظام والوسائد والاشياء الاخرى! ان السحابة لن تفعل ذلك ابداً ، ولن ترمي شيئاً مؤذياً على سحابة أخرى! ابداً!»

عند سماع ذلك الصوت ، استدار كل من في المقهى ناحيته ، ووقف متسمراً في مكانه من شدة الدهشة .

فوق برميل النبيذ كان يجلس رجل احمر اللون، محدودب الظهر. رفع يده بالتحية، أمسك اذنيه، ثم ارتفع في الهواء وطار في بطء فوق رؤوس صاحب المقهى والزبائن الموجودين في الداخل.

كان وجهه يبدو عليه الحزن العميق. انهمرت الدموع من عينيه.

وسقطت قطرات كبيرة منه على ثياب اللاعب الرئيس، والذي كان يعتبر نفسه من المتأنقين جداً.

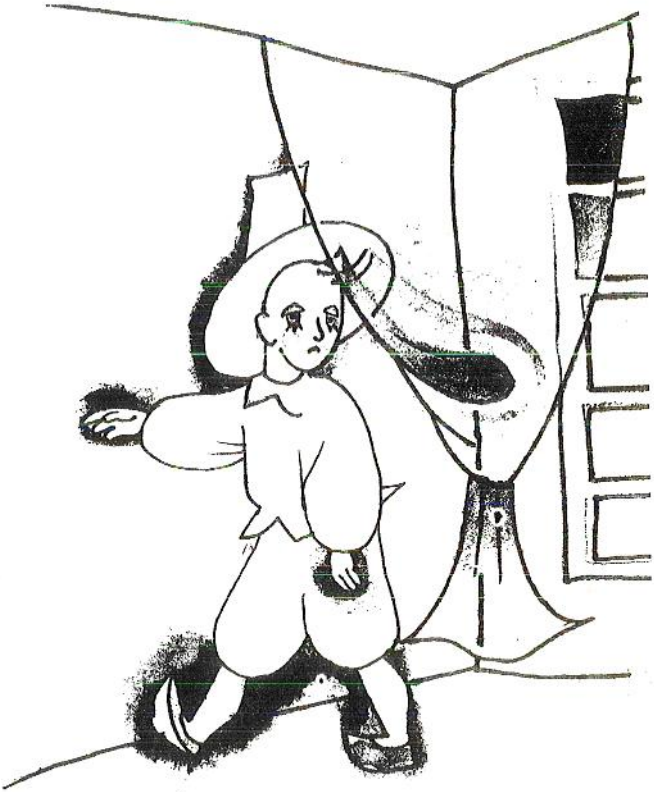
وصرخ بائع الاحذية عندما انهمر سيل من النبيذ في عينيه. بينما اعتدل رئيس الحرس الملكي في جلسته؟ بعد ان استحال لون انفه الى الأزرق بسبب حزمة برق صغيرة أصابت قبعته الفضية.

نزل الرجل الاحمر الى الارض؟ وحاول ان يجد طريقه نحو الباب. فراح يرتطم بالكراسي والمقاعد، حتى خرج اخيراً.

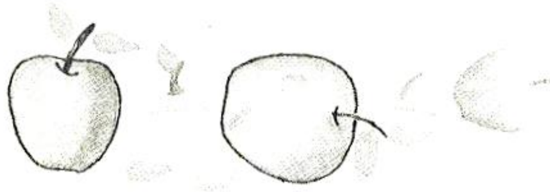
ازدادت دهشة الجميع ؛ فقد كان الرجل الاحمر صورة ثانية للشحاذ الوحيد. كان شعره المشعث مشابهاً تماماً ؛ بينما مرت نسمة هواء حركت الاسمال التي تغطيه.

وقف الرجل الاحمر على عتبة الباب. ورأى الجميع انه كان شفافاً تماماً، وانه يشع كأنه كأس مليئ بالنبيذ الاحمر عندما تنظر اليه عبر شعلة متوهجة.

– «هيا بنا، ففي جميع الاحوال، لن يفهمنا احد هنا ابداً، قال الرجل الاحمر للشحاذ الوحيد، وخرج وهو يترنح من المقهى .



الفصل الخامس عشر



كيف تقنع سحابة بالركوب في الحافلة؟

– «لايمكن ان يحدث ذلك...» همس رئيس الحرس الملكي. كان قد استعاد وضعه الطبيعي بعض الشيء بعد ان لامسته حزمة البرق. وقد عاد انفه الى لونه الطبيعي ايضاً.

«لقد سمح صاحب الجلالة بوجود شحاذ واحد فقط. والان هناك اثنان منهم.

ماذا سأخبر صاحب الجلالة؟!».

في تلك الاثناء، أثار ظهور الرجل الاحمر في ساحة البقرة الوحيدة اضطراباً وهرجاً كبيرين.

فقد كادت زوجة الصباغ الثري ان تصطدم به. وقد سقطت منها سلة ملأى بالتفاح كانت قد استلمتها لتوها بعد ان بادلتها

بجلد مصبوغ بشكل جميل .

تدحرجت التفاحات في الشارع. ولكن الاطفال لم يسارعوا لالتقاط هذه الفاكهة الغريبة عليهم.

لقد كان الجميع يحدق في الرجل الاحمر. وكان الناس يطلون من نوافذ بيوتهم ثم يسرعون الى الساحة .

وحتى صانع الساعات تحرك من مكانه ووصل عتبة باب محله وراح ينظر من الباب.

كان الرجل الاحمر يشق طريقه عبر الساحة. وهو يترنح من جانب لاخر. ويهز يده. ويغني اغنية غير مفهومة تماماً.. أغنية جاء في كلماتها :

نحن جميعاً يغمرنا الحزن
الحزن العميق
مثل اوراق الملفوف
نحن لانستطيع ان نشعر بالسعادة..
فالبشر يستطيعون محبة ضفدع
دجاجة. او كلب..
ولكن لماذا..
لماذا لايستطيع احد
ان يحب السحابة؟

ولدهشة الجميع. نظر الرجل الاحمر فيما حوله وتعبير

بالضياع التام باد عليه. امسك اذنيه، ثم طار في الهواء. واندفع يطير متجاوزاً اللافتة التي علقها صانع الاحذية. كانت اللافتة على شكل حذاء طويل ذو ربطة فضية.

استند الرجل الأحمر على اللافتة. أصبح أكثر حزناً، أسند خده على يده. وراح يذرف الدمع ويقول، دون ان يوجه كلامه الى شخص معين:

«كم كانت سعادتي كبيرة عندما وجدت لي صديقة هنا، على الأرض لكنها هجرتني من أجل منظف مداخن... أجل.. أجل. ولد قذر خرج من المدخنة».

بدأ صدر الرجل الأحمر يرتفع وينخفض بشدة. وكان يبكي بألم وحسرة. بينما كانت تسيل منه أنهار حمراء ملأت الحذاء الخشبي الطويل.

في تلك اللحظة. اندفع صاحب المقهى من محله، وهو يهز يده ويصيح:

«اقبضوا على اللص!» واندفع صوب محل صانع الأحذية.

وضع راحتيه المرتجفتين تحت الحذاء. أمسك ببضع قطرات، سرعان مالعقها وهو يرتجف.

– «اللعنة عليك أيها السكير! أفضل نبيذ لديَّ! لقد شرب برميلاً كاملاً!» وراح صاحب المقهى يقفز قفزات عالية من شدة ألمه وغضبه.

ووقعت القطرات فوق صلعته الشهيرة .

– «هؤلاء البشر !» تمتمت السحابة ، «انه يبخل عليَّ ببرميل من الماء الاحمر . إن اي نهر سيمنحني مئات البراميل بدون اي ضجة !» .

– «لقد شربت نبيذي !» صرخ صاحب المقهى .

– «إذن فخذه !» .

نفض الرجل الأحمر ملابسه ، فتساقطت القطرات فوق صاحب المقهى .

– «كلا ، بل يجب أن تدفع لي !» وقفز صاحب المقهى قفزة عالية جداً بحيث استطاع أن يلامس الحذاء بطرف أصبعه . فبدأ الحذاء يتأرجح ، ومعه الرجل الأحمر .

«هؤلاء البشر ! كل مايفكرون به هو النقود ، وليس الصداقة» ، قال الرجل الأحمر باكياً ، «أوه ! لا تمنعوني من التعبير عن حزني» .

طار الرجل الاحمر وارتفع ، ثم تعلق بصورة مقلوبة بمروحة اختبار الطقس ، من قدميه . ثم غطى وجهه براحتيه ، وراح يبكي بمرارة . سالت الدموع من عينيه ، إلى جبهته ، وشعره ثم تساقطت .

في تلك اللحظة ، تعالى صوت صهيل خيل ، ووقع أقدام الجياد ، وسارت الى وسط ساحة البقرة الوحيدة عربة كبيرة ،

تجرها أربعة جياد .

فتحت باب العربة على مصراعيها . وظهرت ساق نحيفة جدا ، من حذاء أسود لماع . وهبط المستشار الاعلى – ذو الاذنين الكبيرتين – من العربة بخفة .

لدى رؤية الجمع المحتشد في الساحة ، كشر عن اسنانه في غيظ شديد ، لكنه اتجه مسرعاً ودون اضاعة لحظة واحدة نحو محل صانع الأحذية .

كانت مروحة قياس الطقس تتأرجح مع الهواء ، ومعها يتأرجح الرجل الأحمر الباكي المتعلق بها من قدميه .

– «هل هذه انت ؟ أيتها السحابة المحترمة ؟» سأل ذو الاذنين الكبيرتين بصوت هامس مرتجف .

– «بالطبع ، هذه أنا ! ولكن عليك أن تضيف لي هذه الصفات : السحابة اليائسة والمخدوعة ...» ، أجاب الرجل الصغير الجالس فوق مروحة الطقس ، بصوت حزين ، ونظف انفه بمنديل أحمر .

– «أوه ، كم أنا سعيد ، سعادة لايمكن أن توصف ، لرؤيتك !» قال ذو الاذنين الكبيرتين وهو يهز يده .

«هل تتفضلين بمصاحبتي إلى البلاط ؟» .

جاء صاحب المقهى يركض نحو ذو الأُذنين الكبيرتين ، وامسك بأكمامه وهو يقول مسرعاً :

- «لقد شرب هذا الشحاذ برميلاً كاملاً من النبيذ ! أرجوك ، انزله حالاً ! ضعه في السجن في الحال !»

ضغط ذو الأذنين الكبيرتين على صلعة صاحب المقهى وقال بصوته الخفيض :

- «ولا كلمة أخرى منك ..»

صمت صاحب المقهى في الحال ، كأنه مسمار ضرب بمطرقة قوية .

- «أنني حزين جداً من أجلك . لقد شربت ذلك الشراب الرديْ . انني أستطيع أن اقدم لك أفضل عصير» . همس ذو الأذنين الكبيرتين وهو ينحني للسحابة .

- «انني لا أريد شيئاً» قالت السحابة باكية «لا أريد أي شيْ الآن ...»

- «أو ربما تحبين أن تستحمي ؟» قال المستشار الأعلى ، بصبر .

- «اني لا أريد أن أستحم .. كلا . لقد كنت أعرف أن كل شيْ ينتهي نهاية سيئة ...» .

- «أو ربما تفضلين اللعب في الينبوع ؟» قال ذو الأذنين الكبيرتين وهو يصر على أسنانه .

- «لا أشعر برغبة في اللعب في الينبوع» هزت السحابة يدها في يأس .

تطاير الشرر من عيني ذو الاذنين الكبيرتين ، وتقلصت

أصابعه وكأنه يمسك شخصاً من رقبته ؟ ولكن صوته أصبح أكثر حلاوة ورقة ، وقال :

– «ربما تحبين أن نلعب الورق معاً ؟ أوه ؟ انني اسف» قال ذو الاذنين الكبيرتين مستدركاً . «لقد نسيت أن السحب تلعب الورق» .

– «ماذا !» هتفت السحابة ، واعتدلت ثم جلست على سطح المحل ، وتزحلقت حتى جلست على الحافة تماماً ، وراحت تتأرجح وتهز ساقيها ، وهتفت :

– «انا لا أعرف أن ألعب الورق ! بل اننا السحب لا نقوم بشيْ سوى لعب الورق هناك في السماء ! فنحن نلعب جميع انواع اللعب» .

– «حقا !» همس المستشار الأعلى وهو يمثل دور المعجب الغارق في دهشته .

– «ألم تكن تعرف ذلك ؟ ثم أن جدتي الكبيرة السحابة الرعادة ، جدتي العزيزة التي خالفت أمرها ، وأخذت عقابي على ذلك ، تخرج الصبر قبل أن تبدأ عاصفة رعدية» .

– «هل تفعل ذلك حقاً !» همس ذو الأذنين الكبيرتين ثانية .

– «أجل ، هذا صحيح ..» قالت السحابة باكية .

– «حسناً ، اثبتي ذلك لي ، ياعزيزتي السحابة !» قال المستشار الأعلى ذلك ، وفتح باب العربة على مصراعيه .

هبطت السحابة بارتباك من سطح المحل . وراحت تترنح من جانب لآخر ، واندفعت داخل العربة .

- «انطلق !» همس ذو الأذنين الكبيرتين للحوذي ، وقفز بعد السحابة وأغلق باب العربة خلفه .



الفصل
السادس عشر



ذو الاذنين الكبيرتين يتوصل الى معلومات خطيرة

ما أن تحركت العربة ، حتى ارتمت السحابة المخمورة على صدر (ذو الأذنين الكبيرتين) وانفجرت بالبكاء . وجلس المستشار يحدق بعينين زجاجيتين في رأس السحابة المشعث . وسال النبيذ على قميصه وسترته ، ولكنه ظل جالساً في صبر ، ودون أن يقوم بحركة تخيف السحابة .

— «هل جئت الى مملكتنا منذ فترة طويلة ؟» سأل المستشار السحابة بحذر ، وهو يرمش بعينيه .

— «منذ شهرين . لقد مكثت هنا — بسببها .. من أجل الفتاة وهي ...» وعادت السحابة الى البكاء .

— «ماهو اسمها ؟» سأل ذو الاذنين الكبيرتين هامساً ، وهو يحني رأسه ويقرب أذنه من السحابة .

– «أنت وحدك الذي تفهمني ، ياصديقي ، أنت وحدك !» قالت السحابة باكية ، وهي تلف ذراعيها الخمريتين حول رقبة المستشار .

– «آه .. ياسحابتي العزيزة ! كان عليك أن تأتي إليّ مباشرة» ، قال ذو الأذنين الكبيرتين في عتاب ، «كنت سأنظم الأمور بصورة رائعة لك ، وأوفر لك كل الراحة التي تحتاجين اليها ...» .

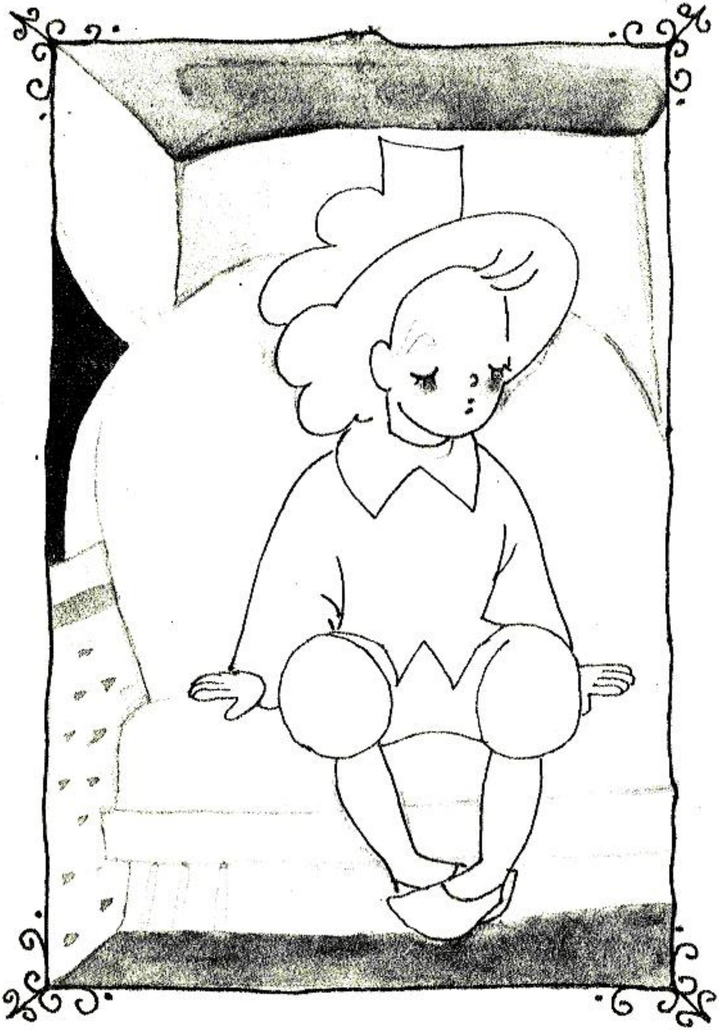
بدأ وجه ذو الاذنين الكبيرتين مليئاً بالشر ، ولكن السحابة لم تنتبه اليه . «جئت الى هنا لوحدك .. مخلوقة رقيقة مثلك ! كان يمكن أن تؤذي نفسك !» .

– «لقد صفعتني صفعة قاسية ! تلك الفتاة وذلك الفتى !» هتفت السحابة ، وانسابت الدموع من عينيها . كانت ذراعاها لاتزال حول رقبة المستشار . خرج المنديل من الجيب ، طار الى الأعلى ، وراح يمسح الدموع من عيني السحابة .

– «كان يمكن أن يقتلك أحداً !» قال ذو الاذنين الكبيرتين وهو يهز رأسه .

– «انني لايمكن أن أُقتل .. لقد بدت لي وحيدة وفي غاية التعاسة ...»

– «ولكن ، الا يمكن انْ يحدث لك شيْ يقضي عليك ؟» سأل ذو الأُذنين الكبيرتين بنعومة وهو لايكاد يخفي قلقه وتوتره .



– «أجل ، ولكن لا أحد يعرف ماهو . فأنا يمكن أن ... وكنت وحيدة انا ايضا ... فلم يكن في السماء من يفهمني» .

– «لم تخبريني ، ما الذي يمكن أن يحدث لك ؟» .

قال ذو الأذنين الكبيرتين وصوته يرتجف ، وأضاف متسائلاً :

– «الخنق ؟» .

– «أوه كلا ، فانا لايمكن أن أختنق . أنا فقط يمكن أن .. انك لاتستطيع أن تعرف مدى لامبالاة الغيوم والسحب . أنها تطير حين تدفعها الرياح» .

– «ربما يمكنهم حبسك ؟ أو تمزيقك ؟ أو رميك بالأحجار ؟؟» .

– «كم كنت سعيدة وأنا أنام تحت سريرها» غطت السحابة وجهها بيديها وهي تسترجع ذكرياتها . «كانت تقول لي (تصبحين على خير) قبل أن انام . أن احداً لم يقل لى ذلك من قبل ابداً» .

– «هل يمكن دفنك في الرمل ؟ أو في الارض ! انني أسأل لاني قلق جداً عليك !» .

– «كانت تقول لي : انك لا تبدين في صحة جيدة . لقد أصبحت نحيفة .. يجب أن تشربي أكثر ! أوه ، يا إلهي !» وتأوهت السحابة في ألم شديد .

ابتلت جميع الوسائد والمقاعد في العربة بالنبيذ . وسرعان ما بدأ ذو الأذنين الكبيرتين يشعر بالدوار بسبب النبيذ . حتى الحوذي بدأ يترنح وهو في مقعهده ، وبدأت الجياد تتعثر .

– «او ربما يمكن وضعك في برميل مليئ بالخيار ؟ أو وضعك في فوهة مدفع واطلاقك ؟؟» قال ذو الاذنين الكبيرتين في يأس «كم انا قلق عليك .. كم أنا قلق ! !» .

لو كانت السحابة قد رفعت رأسها في تلك اللحظة ، لرأت الحقد والغضب ونفاذ الصبر التي تنبعث من عيني المستشار الصغيرتين .

– «أوه ؟ كم أنت مثير للملل !» لم تستطع السحابة ان تسيطر على نفسها أكثر من ذلك . «استمع اليّ : بالامكان تجميدي ! هل سمعت ؟ يمكن أن أتجمد ! وذلك سيكون نهايتي . فلن أكون قادرة على الطيران ، وأصبح عند ذاك قطعة اعتيادية من الجليد . ولكن ، لا احد يعرف هذا السر؟ لذا ، فكف عن القلق . ودعني أندب حظي التعس» .

– «تجميدك ...» همس ذو الاذنين الكبيرتين . وأسند ظهره على المسند الوثير ، واغلق عينيه لحظة . «اذن هذا هو السر ...» .

كانت العربة تسير بطريقة مترنحة عبر الشوارع وكان الحوذي يردد اغنية ما ، بالرغم من ان صو ته لم يكن جميلاً ، ولا اذنه تفهم الموسيقى . وكانت الجياد تصهل بسعادة .

- «ايتها السحابة العزيرة» قال ذو الاذنين الكبيرتين وهو يحاول ان يستريح في جلسته بين الوسائد المبتلة» . سوف اقدم لك المساعدة كي تنتقمي من الفتاة والفتى ، فقط اخبريني من اسميهما . سوف اضعهما في السجن في الحال» أو أحكم عليهما بالموت ، ان شئت !» .

- «ماذا ؟؟ ماذا قلت ؟؟» .

هتفت السحابة في جزع وهي تبتعد عن صدر المستشار ، وراحت تحدق فيه . «قد اكون سحابة مخمورة ؟ ولكن ، ان ترسل فتاة صغيرة وفتى الى الموت. لانهما صديقان ؟؟ قطبت السحابة جبينها في غضب وهتفت :

«ايها الوغد ! كيف تجرؤ على قول مثل هذا الكلام لي ؟!»

ثم طارت السحابة حتى لامست سقف العربة المقفلة .

«انني لن اذهب معك خطوة اخرى ! أوقف العربة ، ودعني اخرج !» .

- «اوه كلا» همس ذو الاذنين الكبيرتين والشر بادٍ عليه ، «لقد قبضت عليك أخيراً ايتها السحابة العزيزة» .

- «والى اين تأخذني ؟» تساءلت السحابة وهي تضرب الزجاج .

- «الى غرفة تجميد جميلة» همس ذو الاذنين الكبيرتين بصوت اثار الرعب في نفس السحابة . «سوف تصطك اسنانك قليلاً

من شدة البرد ، ولكن ذلك لايهم» .

– «ولكن لماذا ؟ ماذا فعلت ؟» تساءلت السحابة وهي تضرب نوافذ العربة .

– «لقد فعلت شيئاً طيباً ، والآن عليك أن تدفعي ثمن فعلتك . فنحن لانحب ذلك في مملكتنا . أما بالنسبة لاصدقائك ، فسوف أتولى أمرهم . فلا تقلقي» .

– «كلا ؟ ارجوك . لا تفعل لهم شيئاً !» قالت السحابة وهي تبسط يديها وتتوسل . «انهما لم يفعلا أي شيء !» .

– «يمكنك ان تتوسلي كما تشائين» قال المستشار في حقد ، «فكلماتك ليست أكثر من طنين نحل حول اذني ...» .

ارتجت العربة بشدة بسبب حزمة شديدة من البرق ، مما جعل نوافذ العربة تئز ، بينما قفزت الجياد قفزة مرتفعة ، وانطلقت تعدو كالسهام،في تلك اللحظة بالذات . انقسمت السحابة الى الف قطعة صغيرة . وامتلأت العربة بطنين يصم الأذن .

– فقد تحولت السحابة الى ألف نحلة .

راح المستشار الاعلى يحرك يديه في رعب . ولكن ، كما تعلم ، فان هذا هو اسوأ شيء يمكن عمله للتخلص من النحل .

اندفع النحل اليه من جميع الجوانب .

لدغت خمس نحلات انفه ، وسبع نحلات لدغن جبهته ؟

وعدد لايحصى لدغن رقبته وخديه .

كانت لدغات النحل مؤلمة جداً . ليس هذا فقط ، فذلك النحل لم يكن كالنحل الاعتيادي . بل ان تلك اللدغات جعلت المستشار الاعلى يقفز الى الاعلى ويرتمي على الوسائد ، وبدأ يرتجف من رأسه الى قدمه . فكل نحلة كان لديها حزمة صغيرة من البرق في ابرتها – فقد كانت السحابة قد قسمت مالديها من برق الى ألف جزء راح النحل يطن بلا توقف ، وكوّن دائرة حول ذي الاذنين الكبيرتين ، وراح يلدغه بلا توقف أيضاً ، وكان النحل يجد لذة عظمى في لدغ اذني المستشار الشهيرتين .

صرخ ذو الاذنين الكبيرتين في رعب ، وأمسك بأنفه ، ثم بأذنيه وهو يصيح ويترنح .. أخيراً ، لم يعد قادراً على الاحتمال اكثر مما فعل ! ففتح باب العربة على مصراعيه .

انساب النحل خارجاً من الباب ، متمهلاً ودونما عجلة ، وهو لايكف عن الطنين .

كان صوت صرير اسنان ذي الاذنين الكبيرتين عالياً بحيث توقف الحوذي ، أمسك اعنَّة الجياد ، واستدار ، إذ ظن ان حادثاً ما قد وقع للمستشار .

في تلك الاثناء ، كان النحل يطير هادئاً فوق سطوح المنازل .

– «استدر ! وانطلق خلف السحابة !» همس ذو الاذنين

الكبيرتين في حقد . ولكن الشارع كان ضيقاً جداً ، ولم يستطع الحوذي أن يسير الى الامام ، ولا الى الخلف .

قرض ذو الاذنين الكبيرتين اظفاره غيظاً وحنقاً ، وعض أصابعه بغضب مجنون وهو يرى السحابة تحلق عالياً وتبتعد

لم تعد سرباً من النحل الان . كان النحل يتقارب ويلتحم ، حتى استحال الى شيء طويل ، ومعروف لديه . أخيراً ميز المستشار نفسه . فقد رأى نفس الاذنين الكبيرتين المميزتين ، وكذلك الساقين النحيفتين في زوج من الاحذية ذات لون فاتح .



الفصل
السابع عشر



الفنان فيرميليون يقابل الضفدعة روزيتا

وصلت السحابة أخيراً الى البيت في هدوء ، وأسرعت واندست تحت سرير رغد دون نوبات غضب وهياج .

«انها دائما هكذا : تقوم بمشاجرة فظيعة ، ثم تشعر بالخجل من نفسها ؛ وتكتشف انها كانت مشاكسة» قالت رغد لنفسها وهي تتذكر مدى غضب السحابة بعد ان استمعت الى المحاورة التي دارت بينها وبين سوتي .

ولكن رغد لم تدرك ان السحابة كانت قلقة لسبب آخر تماما .

– «انني لا أستطيع أن اتعرف الى الشكل الذي حولت نفسك اليه اليوم» قالت رغد وهي تنحني من سريرها وتمسك بطرف غطاء السحابة . «من أين جئت بهاتين الاذنين الغريبتين؟ لا

ادري من الذي قابلت اليوم ولكني استطيع ان اخبرك بانه كان شخصا شريراً وسيئاً جداً .

لم تجب السحابة بشيء . استدارت مولية ظهرها لرغد ، وسحبت ركبتيها الى ذقنها .

– «هل حدث شيء لك ؟» سألت رغد في قلق «هل تشعرين بخير؟ انك تبدين محتقنة بعض الشيء ؟» .

– «كلا .. كلا .. اذهبي ونامي» ، أُجابت السحابة وهي تتنهد .

كانت رغد تتهيأ للنوم عندما دخل خفاش الى الغرفة من خلال النافذة المفتوحة . وراح الخفاش يطير . بشكل دائري في الغرفة ، وهو يبحث عن شيء يتعلق به من قدميه ولكنه لم يجد شيئاً مناسباً . فجأة تعلق بشعر رغد .

بحذر وهدوء ، فتحت رغد مخالب الخفاش دون ان تؤذيه ، وأزاحته من رأسها . طار الخفاش صوب الدولاب وهو يئز بانزعاج فقد كان من الواضح انه يفضل ان يتعلق بشعر رغد زحفت السحابة من تحت السرير بتذمر ؛ اطلق الخفاش صوتاً حاداً ..

– «بي ... بي .. بي ... تي .. تي ... تي» ، صرَّ الخفاش بصوت رفيع ، كأنه درج يفتح ويغلق «تي .. بي .. بي .. بي !» .

ضربت السحابة الأرض بقدمها ، دون أن تحدث أي

صوت .. كانت في غاية الانزعاج .
- «حقاً ! انها مخبرة وليست ضفدعة كيف عرفت ذلك ؟»
هزَّ الخفاش رأسه ؟ طار من فوق الدولاب ، قام بدورة اخرى في الغرفة ، وانطلق خارجاً الى الظلام من خلال النافذة .
- «عرفت ماذا ؟» هتفت رغد في خوف . «ما الذي تتحدثين عنه ؟» .
- «استمري في إزعاجي مثل نحلة تدور حول إناء مليْ بالعسل !» هتفت السحابة وقد نفذ صبرها . «استعدي . سنذهب لمقابلة الضفدعة روزيتا» .
سارت رغد والسحابة على أطراف الأصابع ، ومرتا من أمام غرفة بارباتوت . كانت بارباتوت تتحدث في نومها وتصيح :
«البركان يتدفق ! كونوا على حذر ! اهربوا ! حلاوة الدقيق تتدفق منه ! تلال من الحلاوة ! سوف تغرق المدينة كلها ... الارض كلها ...» .
ان حلاوة الدقيق الأبيض لم تترك بارباتوت حتى في النوم .
- «لقد خطرت لي فكرة» ، قالت السحابة لرغد عندما أصبحتا في الخارج . «هيا نذهب الى فيرميليون . لقد طلب مني أن اقدمه الى روزيتا منذ وقت طويل» . تنهدت السحابة ، وأضافت شيئاً غير مفهوم ، فقد قالت ، «فربما يخفف وجوده من غضب

روزيتا ... قد تشعر بالحرج من إظهار غضبها».

لم تسأل رغد أي سؤال آخر. فقد ادركت أن السحابة كانت قلقة جداً حول شيءٍ ما.

ذهبت رغد مع السحابة نحو بيت فيرميليون. مدّت السحابة ذراعاً، راح يمتد ويمتد حتى وصل نافذة فيرميليون. بالرغم من إنه كان يعيش في أعلى طابق من البناية؟ في غرفة فوق السطح.

أطل فيرميليون من النافذة، رأى رغد والسحابة فأشار لها فرحاً، وأسرع بالنزول اليهما. وابتدأ الثلاثة السير في الشوارع الفارغة في ذلك الليل، باتجاه الحدائق الملكية.

كان الغبار الذي تثيره خطواتهم، يتصاعد في دوائر وكأنه يريد الوصول الى القمر من مسافة بعيدة، شاهدت الكلاب التي تحرس الحدائق الملكية القادمين. ولكن الكلاب سرعان ماانخفضت رؤوسها، وهزت ذيولها بتسليم كامل، وراحت تنظر الى الجهة المعاكسة تماماً، وهي تعود أدراجها. ولم تحتج السحابة حتى الى مساعدة منديلها الذكي.

وكالعادة، فان الضفدعة روزيتا كانت تجلس على المقعد الصخري، تتنفس بصعوبة بسبب تقدمها في السن.

— «يالها من ضفدعة رائعة!» هتف الفنان فيرميليون. «ماهذه الحكمة، والصبر اللذين تتحليان بها! يجب ان ارسم صورتها

بكل تأكيد . أجل ، أجل ! سوف أُرسم صورة جانبية لها وضوء القمر يسقط عليها . ولكن لسوء الحظ ، فان ذلك مستحيل . فليس لدي نقود لشراء أي أصباغ ...» .

عندما رأت الضفدعة روزيتا ، السحابة هزت رأسها بغضب ، وقطبت عينيها ، وبصقت بعوضة كانت في فمها . والتي فرحت فرحاً كبيراً بخلاصها غير المتوقع ، فانطلقت تغني حتى اختفت . وقفت السحابة وخفضت رأسها ، وهي نادمة وشاعرة بذنبها . وراحت تعتصر منديلها في خجل .

كانت رغد قد تعلمت القليل من لغة الضفادع . أو على الاقل . فقد أصبحت قادرة على فهم بعض الكلمات .

أطلقت الضفدعة أصواتاً متباينة . وراحت تضرب براحتها المجعدة على المقعد الصخري :

«هي .. كري .. كرو .. كرو .. تش .. بوف .. يالك من سحابة .. نظيفة .. هي .. كري .. كري .. لاتخجل ..!» .

وانتابت الضفدعة نوبة من السعال الشديد بحيث توقفت عن الكلام .

– «وماذا حدث !» تمتمت السحابة . «إنها المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك . حسناً» لقد شربت من ذلك الماء الأحمر . اني لا أستطيع أن أتذكر ما الذي حدث لي بعد ذلك ...» .

ولكن الضفدعة روزيتا أشاحت بوجهها ولم تنظر الى

السحابة .

وبحركة ملأى بالكبرياء ، كأنها ملكة مُسِنة ، اشارت الضفدعة بقدمها الى الفنان فيرميليون ليجلس الى جانبها . وباحترام كبير جلس فيرميليون على حافة المقعد .

«كري .. كرا .. هي .. هي ..» نقت الضفدعة باحترام وهي تنظر الى فيرميليون .

نظر فيرميليون بتساؤل الى السحابة .

– «انها تسأل كيف حالك» ، شرحت السحابة كلام الضفدعة ، باستياء . واستدارت السحابة بتأثر وراحت تحدق في الظلام . وبدا أنها تريد أن تحلق وتطير الى نهاية العالم ، وفعلاً فقد بدأت تتمدد وهي إشارة على إنها سوف تطير .

كانت السحابة على وشك أن تسحب أذنها .

– «لست في أحسن حال . عزيزتي روزيتا» ، أجاب الفنان بتفكير عميق وهو يربت على ركبتيه . «ليس لدي فلس واحد . في بعض الأحيان أكسب مبلغاً ضئيلاً من المال من كتابة ورسم الاعلانات . قسم منها سخيف جداً . أمس ، مثلاً ، رسمت اعلاناً سخيفاً ..» قطب فيرميليون ما بين حاجبيه وهو يحاول ان يتذكر . «أوه ، أجل ! إعلان مضحك جدا . وسوف يعلق غداً في المدينة كلها ؟ وهو : «ستقام مسابقة ملكية لشرب الماء يوم الاثنين في الساعة الثالثة ، في البلاط الملكي . ومن يتمكن

من شرب أكبر كمية من الماء ، سوف يحصل على محفظة من الذهب» .
– «حقاً ! هذا خبر مهم !» هتفت السحابة في اهتمام ، واتسعت عيناها وهي تقول : «من يشرب أكبر كمية من الماء ! ! هذا هو بالضبط مكاني !» .
– «لن اسمح لك بذلك ابداً .. فلا تحاولي ولاتتجرئي !» قالت رغد وهي تهز رأسها «سيقبضون عليك اذا ذهبت !» .
– «كلا ، لن يفعلوا ذلك . سوف أكون حذرة جداً» .
– «أنا أعرف كم أنت حذرة ! سوف يقبضون عليك ويضعونك في قدر حار – والى الفرن !» قالت رغد في رعب وهي تقطب حاجبيها .
– «إذا فعلوا ذلك ، سوف أتبخر ، وأعود ثانية الى طبيعتي» .
– «سوف يفكرون بطريقة اخرى ..» .
– «لاتكوني حمقاء !»
– «كلا .. كلا .. كلا !» هتفت رغد باصرار .
– «الا ترين انهم غير قادرين على ايذائي ، أيتها الفتاة الحمقاء !» كانت السحابة تقفز الى الاعلى وتعود الى الأرض ، وقد نفذ صبرها . «فانا لايمكن أن أضرب بالرصاص ، او اقتل ، مثلكم ايها البشر . نظرت السحابة الى رغد التي كانت مقطبة ومنزعجة وقالت : «حسناً ، استمعي الي . الطريقة

الوحيدة التي يمكنهم بها الحاق الاذى بي هي بتجميدي . ولكنهم لايعرفون ذلك . فهل اقتنعت الان ؟ فانني لم أخبر أحداً بذلك قبل الآن ، وأنت أول شخص يعرف هذا» .

التفتت روزيتا ونظرت الى السحابة بعين واحدة نظرة عميقة . كانت العين دائرية وشفافة .

– «فكري معي . .» تعلقت السحابة بالضفدعة تحاول ان تقنعها بعد أن لاحظت ترددها .

«اني لم أدخل الى البلاد منذ فترة طويلة . لقد أغلقوا كل الفتحات ، والنوافذ ، حتى فتحات المفاتيح أغلقوها بالشمع . وما هو في رأيك سبب عدم قدرتي على التركيز ؟ ثم انك لاتعرفين خطئي . إنهم لن يكتشفوا أبداً بأنني السحابة» .

ببطء هزت الضفدعة روزيتا رأسها بالموافقة .

– «روزيتا الحبيبة !» هتفت السحابة واندفعت تحتضنها . ثم اندفعت الى الاعلى وقامت بدورة في الجو على ضوء القمر . طار خفاش من خلالها ، وانطلق .

الفصل الثامن عشر

المباراة الملكية على شرب الماء

تم تعليق اللافتة التي رسمها الفنان فيرميليون على سياج الحديقة الملكية ، وكانت الأبواب الحديدية مفتوحة على مصراعيها .

وقف حشد كبير من الناس في مدخل باب الحديقة . ومن حين لآخر ، كان أحد الواقفين يخرج من الحشد ، ويسير صوب الباب ويدخل متردداً ، خائفاً . ولكن عدد قليل فقط تجرأوا على الدخول . فمعظم الناس لم يتوقعوا شيئا جيدا من الملك ، لذا فمن الافضل عدم التقرب منه . ومع ذلك ، ففي النهاية ، كان هناك عدد لابأس به من الأشخاص ، عدد منهم من الفقراء الذين كانت امنيتهم هي شرب كفايتهم من الماء ولو لمرة واحدة في حياتهم .

بالطبع ، كان هناك عدد من الاغنياء أيضاً . وبالرغم من ان الماء لم يكن بالشيء النادر بالنسبة لهم . فقد كانوا يأخذون منه كفايتهم . فقد كانوا يأملون الحصول على الذهب الذي وعدت به اللافتة .

في المدخل الذي يؤدي الى الصالة الرئيسة . وقف حارسان ضخمان لمقابلة المتسابقين . وهما : جنجر ، وثاك . وهما يرتديان احذية ضخمة وقبيحة . كان الحارسان يمسكان بكل من يدخل الصالة . ويقومان بفحصه ، حيث يضربه جنجر على ظهره بينما يقوم (ثاك) . بجره من ذراعيه ويمسك به ويقوم الآخر بقرصه من ركبتيه . وحذائه .

لو كانت الستائر شفافة ، لظهر خلفها المستشار الأعلى (ذو الاذنين الكبيرتين) .

كانت عيناه متسمرتان على الفتحة الصغيرة . وينظر الى كل داخل ؟ بينما يلعق شفتيه بلسانه وقد نفذ صبره واحتماله .

- «لقد فكرت بكل الاحتمالات ..» همس لنفسه . «ان السحابة ستأتي بدون أدنى شك . إنها لا تستطيع ان تقاوم الاغراء . ومهما حاولت ان تتنكر . فاننا سوف نكشفها في الحال وذلك من خلال قرصها . ولكن ، أين هي ؟ ربما هذه هي . ولكن كلا . هذا هو اللاعب الرئيس وذلك الذي دخل الآن هو العم كلاك . انهم يقولون انه يبيع ماء مخلوطا . ولكن بماذا

يخلط الماء ؟ الهواء ؟ وذلك أيضا ليس السحابة . وليست تلك أيضا ... ومن هذا ؟ انه بائع الأحذية . وحتى صانع المظلات يريد المشاركة في المسابقة ! ولكن ، لا أثر للسحابة . هذا المشارك ايضا لايمكن ان يكون السحابة . وهذا الرجل العجوز ذو اللحية البيضاء والمعطف الأخضر القديم . إن ثالك يضربه على قفاه . ووقع المسكين ارضاً . وهذا هو الشحاذ الوحيد لقد جاء ليحصل على شربة ماء . يكاد الحارس أن يوقعه ارضاً . كلا . هذا ايضا ليس السحابة ! ولا ذاك !.. إذن . فان السحابة لم تأت بعد هذا كله ، وأنا كنت مخطئا ؟؟!»

في وسط هذه الافكار القلقة في البلاط . دقت ساعة الحائط الكبيرة ثلاث دقات .

رفع اثنا عشر رجلاً أبواقهم ، وراحوا يعزفون لحناً . وفي الحقيقة ، فان أحد عشر رجلاً فقط عزفوا اللحن . حيث ان الرجل الثاني عشر عندما نفخ بوقه ، اندفع سيل من الماء منه .

تثاءب الملك الذي كان جالساً فوق عرشه بصوت مرتفع ، ودق الارض بقدمه التي كانت داخل حذاء مصنوع من الذهب .

سمح للمتسابقين بالدخول الى الصالة . اقترب الاغنياء ووقفوا بالقرب من الملك ، بينما تلكأ الفقراء ووقفوا محاذين للحائط . ووقف الرجل العجوز ذو اللحية البيضاء في زاوية

وحيداً .

تنهد ذو الأُذنين الكبيرتين . وخرج من مخبئه خلف الستارة ، وقال بصوته الخفيض :

- «حسناً ، لنبدأ الآن ! من يشرب أكبر كمية من الماء . هو صديق للملك ! لنبدأ اذن مسابقتنا !»

دخل الخدم يحملون أقداح الماء المرصوفة . اختطف كل واحد من المتسابقين قدحاً .

وعندما كان المتسابق ينتهي من شرب قدح من الماء . يسلمه خادم حلقة خشبية . مع انحناءة .

لم يستطع أي من الفقراء شرب أكثر من خمسة أقداح . حيث انهم لم يكونوا معتادين على الشرب . اما الشحاذ الوحيد ، فانه لم يستطع ان يشرب أكثر من ثلاثة أقداح فقط ؟ وراح يحدق حزيناً في القدح الرابع ، دون ان يقدر على شربه .

وشرب الصباغ خمس وثلاثين قدحاً وراح ينظر فيما حوله في انتصار ، وفكر في نفسه فرحاً (قطعي الذهبية العزيزة ! سوف اضعكم في صندوقي المقفل ! !» .

اما بائع الاحذية ، فقد شرب عشرة أقداح ، وأفرغ القدح الحادي عشر على الارض ؟ ولكن ذو الاذنين الكبيرتين انتبه الى ذلك ، ولم يسلمه حلقة خشبية حادية عشرة .

اما بائع المظلات ، وهو رجل طويل ، نحيف يشبه المظلة

المغلقة؟ فقد كان يمسك بقدح الماء في يده ولايستطيع ان يشرب المزيد. كان ينظر الى القدح وعيناه مليئتان بالدموع وهو يفكر بزهوره الميتة.

وكانت الحلقات الخشبية تزداد عند آخرين؛فقد بلغ عدد الاقداح التي شربها الصباغ اثنان وسبعون ، وبدأت ملابسه تتفتق!

أما العم كلاك. فقد كان الماء يتدفق من فه وأنفه وكأنه غريق!

— «ماذا نفعل ياسيدي؟» همس الخادم في أُذن المستشار ذو الاذنين الكبيرتين ، «لم يبق عندنا إلاّ عدد قليل فقط من الحلقات الخشبية».

— «يجب ان يكون عندنا المزيد من الحلقات» همس ذو الاذنين الكبيرتين ، «لقد هيأنا خمسة آلاف حلقة». أشار الخادم ، بصمت ، الى إحدى الزوايا.

— «ماهذا؟» همس المستشار وقد شحب وجهه وهو يستدير حيث اشار الخادم. استدار الاخرون الذين كان بوسعهم ان يتحركوا ، الى حيث كان المستشار ينظر.

كان الرجل المتواضع العجوز ذو اللحية البيضاء ، يجلس في الزاوية ولايكاد يظهر منه شيء ، فقد غطته تماماً الحلقات الخشبية. في الحقيقة ، لم يكن يظهر منه شيء ؛ بل كان هناك

كومة من الحلقات الخشبية في مكانه ، وكانت يده تمتد من بين الحلقات ، لتمسك بقدح اخر.

تطايرت الحلقات في كل جانب ، وهنا أُطل رأس الرجل العجوز ، وكانت لحيته مشعثة وكبيرة.

— «قدحان آخران فقط» قال الرجل العجوز لنفسه في عزم وهو بربت على لحيته.

فرك ذو الاذنين الكبيرتين عينيه.

— «اني ارى لحية الرجل العجوز تنمو امام عيني ...» قال في نفسه «لاشك انني مشرف على الجنون ...»

تمتم الرجل العجوز بشيء ما ، وأفرغ ستة اقداح اخرى من الماء في جوفه ، وقال لنفسه في إصرار :

— «هذا يكفي ؟ هذا آخر قدح ! هذا كلام شرف !»

ولم يأخذ الحلقات الاضافية التي قدمها له الخادم.

لقد حقق نصراً كاملاً . اتجه المستشار الاعلى ذو الاذنين الكبيرتين الى الرجل العجوز متجاوزاً المتسابقين الذين تمددوا على الارض اعياءً ، وقال له :

— «اسمح لي بان اصافحك واقدم لك التهنئة» وركز نظراته المتفحصة على وجه الرجل العجوز.

ابتسم الرجل العجوز وصافح المستشار بقوة . شحب وجه ذو الاذنين الكبيرتين ، تراجع الى الخلف ، وأصبح أنفه أبيض

تماماً .

نفخت الأبواق ، وقدمت خمسة قِطع من الذهب الى الرجل العجوز ، الذي تناولها بهدوء ووضعها في جيوب معطفه الأخضر القديم .

أمسك الخدم بأيدي المتسابقين الذين تمددوا على الأرض من كثرة ماشربوا ، وقادوهم الى خارج الصالة .

وشق الرجل العجوز طريقه وسط الحلقات الخشبية العديدة ، نحو الباب . ووضع أطراف لحيته في جيب معطفه .

انفجر الحارس جنجر ضاحكاً حيث كان يقف عند الباب .

ها.. ها... ها، ثاك ، هل رأيت لحية العجوز؟ أنه شيء مضحك حقا. عندما استدار ذلك العجوز، بقيت اللحية مكانها : لم تستطع ان تواكب خطواته ! واقسم لك بأني رأيت طرف اللحية يتسلل الى قدح ماء ويفرغه بسرعة البرق الخاطف !».

— «ماذا ؟» همس المستشار ذو الأذنين الكبيرتين الذي ظهر فجأة وكالعادة فانه كان يسمع كل مايقال وفي جميع زوايا البلاط.

«شربت اللحية الماء؟؟».

صفق المستشار بيديه.

دقت أجراس الخطر في جوانب القصر وأقفلت جميع

الأبواب

– «أقبضوا على الرجل العجوز ذو اللحية البيضاء !» أمر المستشار «أمسكوا به مهما حدث لايستطيع الفرار الآن، فقد كان آخر من خرج من الصالة».

اندفع الحراس نحو الجموع المحتشدة.

ولكن الرجل العجوز ذا اللحية البيضاء اختفى تماماً ولم يعثر له على أثر. وقد وجد الحرس رجلاً عجوزاً ذا معطف قديم اخضر، لكنه كان بلا لحية..

– «لقد خدعتني السحابة مرة أخرى !» قال ذو الأذنين الكبيرتين متأوهاً «أوه .. كم أكرهها !».

لاشك أنك حزرت، أيها القاريء العزيز ومنذ بداية الفصل، من يكون الرجل العجوز ذو اللحية البيضاء.

بالطبع ! انه فيرميليون الفنان فقد كان من أسهل الأمور له ان يرسم بعض التجاعيد على وجهه ليبدو رجلا عجوزا .

ولحيته هي صديقتنا المشتركة ! السحابة.

خرج فيرميليون من البلاط بأمان بل ان احدا لم يفكر في يقافه.

وكانت جيوبه ملأى بقطع الذهب الثقيلة، ولكن هذا لم سعده.

– «أين ذهبت السحابة ؟ فأنا لم أفطن إليها وهي تطير من

ذقني». كان يفكر بقلق. «لا شك انها ستوقع نفسها في مأزق اخر. أن ذلك يمكن أن يحدث لها بسهولة، فهي مشتتة الذهن، ان رأسها فارغ تماما. فيما عدا الماء...».



الفصل التاسع عشر



رحلة فوق طبق من السميد

فاذا أردت عزيزي القارىء أن تعرف مالذي حدث للسحابة بعد ذلك ، فتعال معي!

اما اذا لم تكن راغباً في ذلك فأغلق هذا الكتاب وضعه على الرف، ولكن لاتلقيه بعيدا...

بعد ان انفصلت عن ذقن صديقها، تحولت مباشرة الى مزهرية بيضاء كبيرة.

كانت تريد أن ترتاح بعض الشيء.

—«لن اترك البلاط إلاّ بعد أن اكتشف شيئاً ما عن الينبوع السري!» هذا ماكانت تفكر به السحابة .

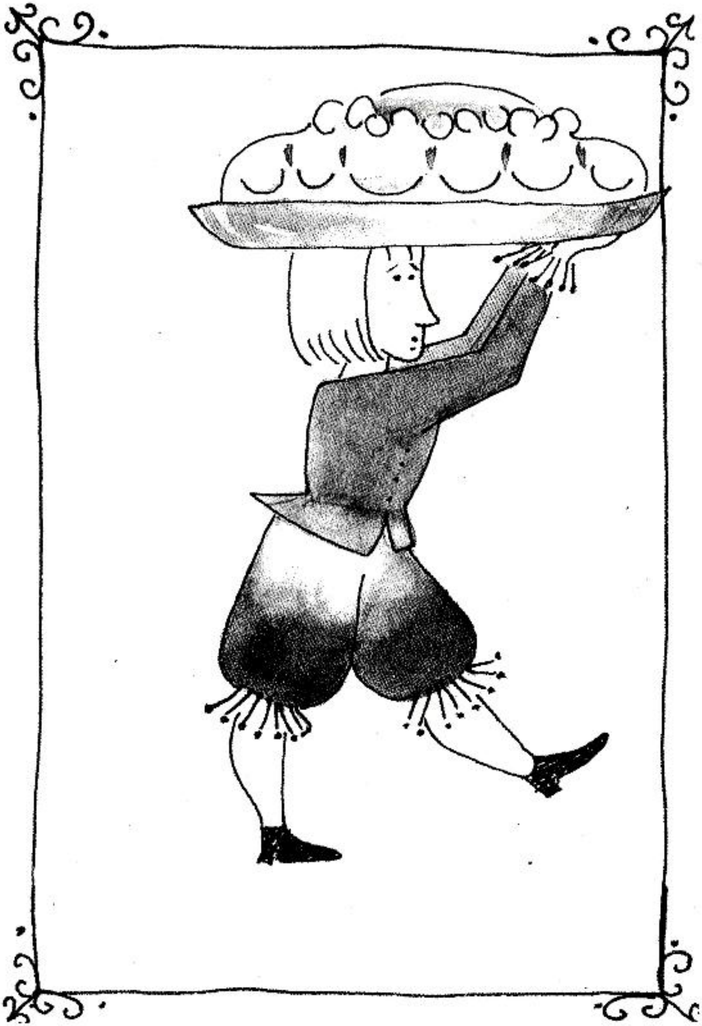
— «ماهذا؟» صاح المسؤول عن تصميم أثاث البلاط من الذي وضع هذه المزهرية البيضاء هنا ؛ودون موافقتي ، ومتى؟ انها

لاتتلاءم مع أثاث هذه الغرفة أبداً إنها بحاجة الى أن تكون أكثر حيوية ربما يمكن تحقيق ذلك بوضع باقة من الورد الأحمر فيها.»
- «لاأعلم كيف يشعر الآخرون ولكني لا أحب أبداً وضع باقات من الورد الاحمر في داخلي،» فكرت السحابة مع نفسها في قلق.

ولكن البلاط كان يموج برجال الحاشية طوال الوقت، لذا وجدت السحابة أن من الصعب عليها التنقل من مكان الى آخر دون أن تثير انتباه أحد.

اقترب خادم من السحابة وهويحمل صحنا ذهبياً فوق رأسه، مليئاً بحلاوة الدقيق الساخنة، والماء يتناثر تحت قدميه.
- «الشيء الذي لم أتحول اليه من قبل هو حلاوة الدقيق، فكرت السحابة في نفسها طارت السحابة دون أن يلاحظها أحد، وجلست فوق حلاوة الدقيق لكن ذلك لم يكن مريحًا أبدا. فقد كانت الحلاوة ساخنة جداً.

كان الخادم الذي يحمل الصحن شخصاً متخوفاً جداً بل ان صفة جبان أكثر ملاءمة له. فقد كان يخاف كل شيء، وهذا الخوف جعله بطيء الفهم وضعيف السمع لذا فقد كان يحتاج الى سماع أي كلام مرتين كي يفهمه فكان الآخرون يخاطبونه بقولهم:
- « اذهب الى المطبخ ! أسمعت ماأقول؟ إذهب الى المطبخ،



أو: قدم هذا الصحن! أسمعت مااقول؟ قدم هذا الصحن! أو: أحمل صحن الحلاوة! أسمعت ما اقول!»

وتدريجيا اعتاد الجميع على تكرار الكلام مع الخادم وقول أسمعت ما اقول ؟» له، بحيث أصبح هذا اسمه المعروف، والآن أصبح الجميع ينادونه بـ (أسمعت ما اقول!»

- «لاأدري إن كان هذا المكان أميناً بما فيه الكفاية فكرت السحابة وهي تنتقل مع حلاوة الدقيق من صالة إلى أخرى.» ماذا يحدث لو بدأ الملك بوضعي في فمه...لا أستطيع أن اتخيل ما الذي سيحصل ...يجب علي أن افكر بشيء وبسرعة...» انحنت السحابة وهمست للخادم بصوت مخيف: «يجب ان تعثر الآن وتسكب صحن حلاوة الدقيق على الأرض!»

شحب وجه الخادم وتعثر لكنه استطاع أن يحافظ على توازنه ولم يسكب الحلاوة. أجال نظره فيما حوله في خوف ولكنه بالطبع لم يشاهد احدا.

- «لاشك انه شبح فكر في خوف شديد .

- «اني لا أرى أحداً، وهذا يعني أنه لا يوجد أحد ولكنني أستطيع ان أسمع صوت شخص. إذن يوجد شخص هنا واذا كان هناك شخص ولايوجد، فهذا يعني إنه شبح!»

- «أسمعت ما اقول يجب أن تعثر وتسكب صحن حلاوة الدقيق الآن في هذه اللحظة!» قالت السحابة بصوت مخيف، ثانية

– «إن الشبح يعرف اسمي ايضا! فكر الخادم في رعب. «واذا نادى الشبح على شخص ما باسمه فان ذلك خطير جداً!»

تعثر ثانية، وهويرتعش من رأسة الى قدميه ولكن استطاع وبجهد جبار أن يحافظ على توازنه ويبقي الصحن فوق رأسه.

دخل الخادم مرتعشاً الى الصاله الرئيسة حيث كان الملك جالسا يدير رأسه بضجر بينما اصطف ثلاثة خدم يربطون له فوطة بيضاء ناصعة حول رقبته.

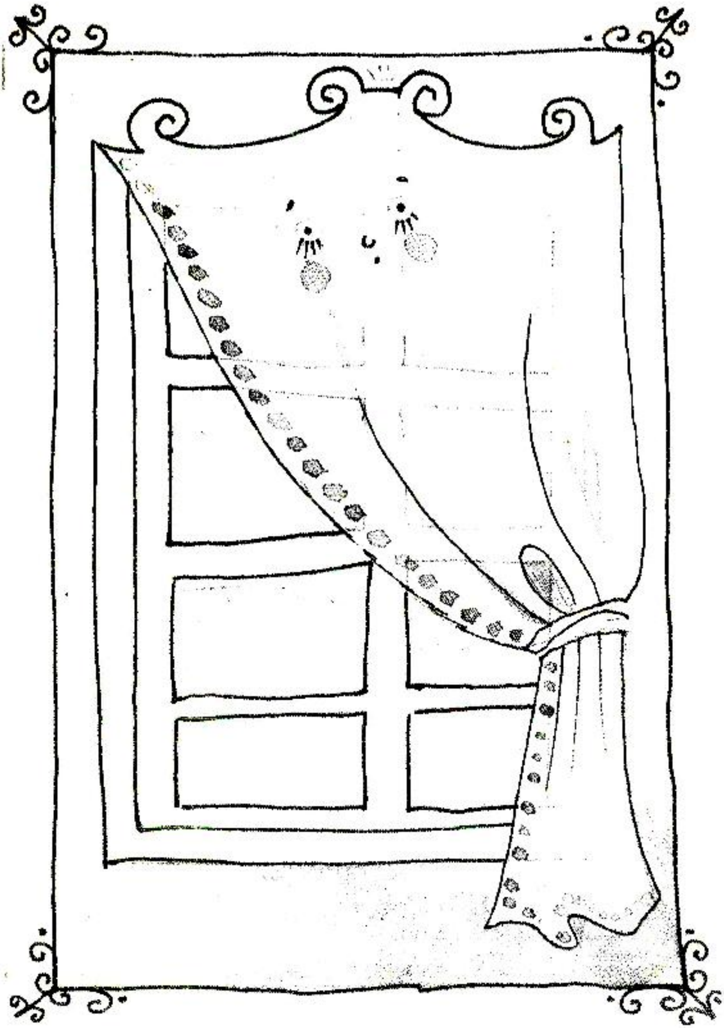
–« اسمعت ما اقول ! تعثر واسكب حلاوة الدقيق حالا!» هتفت السحابة في صوت خائف. في أذن الخادم.

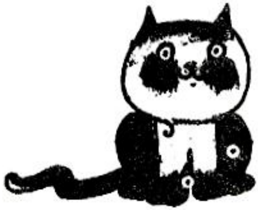
لم يستطع المسكين «أسمعت ماأقول» الاحتمال اكثر مما فعل، فتعثر المسكين ووقع. وتدحرج الصحن الذهبي....وهذا ماحصل بالضبط: وقع «أسمعت ما اقول» وتطاير الصحن الذهبي، وتطايرت حلاوة الدقيق....

وتناثرت الحلاوة على الأرض، ولوثت معظم الموجودين برذاذها.

غطى البعض وجوههم بأيديهم، بينما أسرع آخرون لتنظيف ملابس الملك التي تلوثت ببقع الحلاوة؟ ولكن أحداً لم ينتبه الى السحابة التي طارت فوق رؤوسهم وتعلقت فوق نافذة صغيرة على شكل ستارة من الدانتيل الأبيض الجميل.

الفصل العشرون





السحابة تكتشف سر الملك

هبط الليل.

وفي الحقيقة فان السحابة لم تكن تشعر بالراحة، بل انها شعرت بالخوف في تلك الصالة الكبيرة الفارغة. وكانت الخفافيش تطير نحو النوافذ تتعلق لحظات بزجاج النوافذ، ثم تندفع خارجة وتتلاشى في الظلام . وقام البوم العجوز، فيلسوف الليل صديق السحابة عدة مرات بخفق جناحه بزجاج النافذة. كان يحاول ان يقول شيئا ربما كان يريد أن يحذر السحابة من شيئ ما، لكنها لم تستطيع أن تعرف ماهو .

وفتحت القطة الملكية البدينة السوداء عينيها الخضراوين، ونظرت الى السحابة نظرة فيها الكثير من التأنيب.

«ماذا حدث لي!» كانت السحابة غاضبة من نفسها. «لقد

اصبحت غير قادرة على التفكير والتذكير. يجب عليّ أن اتماسك اكثر...» طارت السحابة في انحاء الصالة ونظرت في كل زاوية وفحصت كل مسمار أو نتوء.

لكنها لم تعثر في اي مكان على باب أو مقبض، أو ثقب مفتاح سري.

-« من المؤكد باني سأكتشف السر فكرت السحابة في قلق.« لايعقل ان تذهب كل جهودي ومتاعبي في دخول البلاط أدراج الرياح كنت واثقة انه سيكون هنا، النبع السري، هنا في البلاط ولكن يبدو باني كنت مخطئة. من الخطأ جدا الاعتماد على الحرس.....ولاحتى حدس السحاب...»

طارت السحابة في أرجاء الصالة ثانية ورفرفت فوق القطعة السوداء.

في الحقيقة فان القطط لا تحب السحب عادة باعتبارها ذات علاقة بالمطر والماء لذلك فان السحابة لم تحاول أبداً ان تفتح حواراً مع قطة من قبل.

ولكن في حالتها هذه كانت هذه فرصتها الاخيرة.

-«هاي، ايتها القطة!» وجهت السحابة حديثها الى القطة.» انت تعيشين هنا ربما تعرفين من أين يحصل الملك على كل الماء الذي لديه؟ هل يوجد هنا نبع سري؟

-« يحتمل وجود مثل هذا النبع السري» ردت القطة وهي تموء

وتنفش فراءها بغرور بينما رفرفت السحابة فوقها.
-«هل يوجد نبع سري ؟ وهل تعرفين مكانه!!
هتفت السحابة متساءلة ودارت ثلاث دورات في الهواء من شدة انفعالها.
-« ربما أعرف» فتحت القطة عينيها الخضراوين.
-«كوني صديقة طيبة،واخبريني! حطت السحابة على مسند كرسي قرب القطة.
-«أفشي اسرار سيدي، سيدي المحبوب!
كلا...ابدا انا لست خائنة»
قالت القطة وهي تموء بكبرياء..ثم أضافت وبصورة غير متوقعة: «اعطني فأراً وسوف اخبرك!!»
-« تحول الى فأر! بسرعة!» همست السحابة لمنديلها.
-«ولكني لاأريد!« قال المنديل بعناد.» سوف أتحول الى قطة، ليس عندي اعتراض على القطة!» - «أرجوك مرة واحدة» همست السحابة واضافت «الأمر في غاية الاهمية.»
-« أوه....حسنا اذن..»تمتم المنديل.
وفي الحال قفز فأر من تحت الكرسي الذي كانت القطة تجلس تحته في استرخاء تام.
-«اخبريني اين النبع السري» هتفت السحابة.
اخبرني اولا.»

ولكن القطة لم تسمع ! بل انها وبقفزة واحدة انطلقت عبر الصالة، ثم وبقفزة اخرى امسكت بالفأر. لكنها صرخت بخيبة أمل

-«وغد!»

سمعت السحابة وقع اقدام تقترب.

اندفعت مسرعة ودارت حول الصالة دون أن تعرف اين تختبيء.

اقتربت الخطوات اكثر.

أجالت السحابة نظراتها، فرأت تمثالا لحورية البحر. من المرمر الابيض، تقف على ذيلها في احدى الزوايا. اسرعت السحابة الى الزاوية الاخرى، تحولت الى تمثال حورية بحر مشابه تماما للتمثال الاول ووقفت على ذيلها.

دقت الساعة الكبيرة ثلاث دقات حزينة.

فتحت الابواب .دخل شخصان الى الصالة.

كان احدهما يحمل قنديلا تحت طرف ثوبه. اغلقا الباب خلفهما باحكام ووضع الاول القنديل على المنضدة.

استطاعت السحابة الآن ان تراهما بوضوح كانا الملك والمستشار ذو الأذنين الكبيرتين.

- « ترى لماذا هما صاحيان الى هذه الساعة المتأخرة فكرت السحابة في نفسها بدهشة. من الصعب جدا على البشر ترك



نومهم في منتصف الليل واذا فعلوا فانهم يتثاءبون ويتذمرون بلا انقطاع. اما نحن السحب، فاننا نجوب السماء ليلا ونهارا دون ان نعرف الراحة»

-« اذن فقد خدعتك السحابة مرة اخرى، ياعزيزي المستشار. قال الملك بلهجة تنضح بالمرارة »ليس هذا فقط بل انني قدمت الماء لحشد كبير من المتسولين والشحاذين طبعاً اضافة الى قطع الذهب.....»

ماءت القطة غاضبة، وراحت تتمسح بحذاء الملك الذهبي، وأشارت برأسها الى تمثال الحورية، وهي تبصق بذلك الاتجاه في حقد وترمش بعينيها الخضراوين.

ولكن ذكرى قطع الذهب التي ذهبت بلا عودة أثارت الملك فاحتد غضبه بحيث انه وبدل ان ينتبه الى قطته المفضلة، رفسها برجله ودفعها بعيدا.

حرك ذو الاذنين الكبيرتين قبضته وقال:

- «من المؤكد ان الرجل العجوز ذو اللحية البيضاء كان هو السحابة. ليس من شك في ذلك. ولكنني صافحت يده...هكذا...»وأراد ذو الاذنين ان يصافح الملك ولكن هذا الاخير دفعه بكبرياء.

-«اذا لم نقبض على السحابة فستكون تلك نهايتك. تذكر ذلك ايها المستشار والان كفى كلاما فقد حان الوقت لاخراج

الماء!» «مساء!» دهشت السحابة لسماع هذه الكلمة وارتجفت وهي على ذنبها حتى كادت تفقد توازنها.«اي ماء!»

وما حدث فيما بعد، كان شيء لايصدق! حتى ان السحابة شعرت انها تحلم!

اتجه الملك وذو الاذنين الكبيرتين الى العرش.

ركزت السحابة نظراتها عليهما.

وكما تعرف عزيزي القارىء كان شعار الملك هو السطل الذهبي مع عبارة(الماء من ممتلكات الملك) محفور على ظهر العرش.

وضع ذو الاذنين الكبيرتين إحدى ركبتيه على العرش، وبجهد كبير حرك السطل الذهبي الثقيل بحيث أُصبح وضعه بالمقلوب.

وهنا تعالى صوت عجلات بميكانيكية خاصة تحت الارض...

رجع ذو الاذنين الكبيرتين الى الوراء وهنا تحرك الملك والمرمر الذي وضع عليه الى جهة واحدة. حدقت السحابة بكل تركيز حتى تصلبت رقبتها.

وهناك في البقعة التي كان العرش فوقها كانت حفرة مربعة الشكل وسمعت السحابة اصوات طرطشة الماء وتلاطمه.

نظر الملك في الحفرة الداكنة.

«الي..الي ايها الماء!» تمتم الملك وهو يفرك يديه. «تعال اليّ ايها الحبيب! الجميع يتلهف عليك: الافواه الجافة..البشر والطيور الجميع يحلم بك: البشر والطيور والكلاب والشجر، ولكنك ملكي انا! انا وحدي!»

–«صاحب الجلالة»قال ذو الاذنين بقلق وهوينظر داخل الحفرة من فوق كتفي الملك.» هل لاحظت بان الماء ينقص كل سنة! فبعد ان اغلقت النبع، حفر لنفسه قناة اخرى تحت الارض واصبح يذهب الى اعماق الارض البعيدة...»

– «هذا لا يهم قال الملك وهو يهز يديه دون اهتمام فهناك ماء يكفي مدة مئة سنة، وهذا يكفي لي ولابني.»

– «وبعد ذلك؟» – «ولماذا عليّ ان اقلق حول المستقبل البعيد؟ ان لديّ مشاغلي المهمة كملء السراديب بالذهب.»

وهناك من اعماق الظلام، التمع شيء كأنه مرآة رطبة وبدأ يرتفع ويرتفع ثم اندفع متدفقاً الى الخارج وغطى الارض.

انه الماء

التف في سيول حول حذاء ذو الاذنين الكبيرتين وفتح الماء الابواب وراح ينساب وغطى السلالم المرمرية

لم تعد السحابة قادره على ضبط نفسها اكثر من ذلك فرمت الحذر عرض الحائط، وراحت ترقص على ذنبها وهي تصيح في جذل:

« مساء! مساء! ولكن كان هناك شخص متمالك لنفسه.
-«انها هي!»هتف ذو الاذنين الكبيرتين مشيرا الى السحابة باصبعه.

وفي مثل لمح البصر سحب المستشار حبلا. في الحال اغلقت جميع الابواب وقرعت الاجراس في البلاط كله، وتعالت أصوات وقع الاقدام الثقيلة وجعجعة الأسلحة.

طارت السحابة نحو السقف في فزع وتعلقت هناك فوق ثريا كبيرة مدلاة من السقف.
-«لقد اكتشفت السر!» قال الملك بصوت باك، وكان واضحاً

أسرع ذو الاذنين الكبيرتين وأعاد السطل الذهبي الى ظهر العرش. وسرعان ما انزلق العرش والمسند المرمري وعاد الى مكانه
-«لقد قبضت عليك اخيراً ، ايتها السحابة الجميلة»قال ذو الاذنين بصوته الهامس، وهويأخذ نفسا عميقا .«لن يمكنك الهرب من هنا تحولي الى اي شيء تحبين فلن نخافك.»
-«سنرى» هتفت حورية البحر، وفجأة صنعت ضبابا كثيفا جدا. واصبحت الرؤية مستحيلة، فقد كان الضباب كثيفا.
-«اين انا؟«صرخ الملك الذي غطاه الضباب.« لقد ضعت! اين مملكتي؟ اين عرشي؟ اسرع الي ايها المستشار ذوالاذنين الكبيرتين!

-« انني هنا، ياصاحب الجلالة مدّ ذو الاذنين يده واسرع باتجاه صوت الملك ولكنه للأسف ، ادخل اصابعه في عيني الملك!
-«انك لاتعرف قدرتي على تصفيف الشعر!»
ردد الضباب ضحكة مجلجلة رددتها جوانب البلاط في وقت واحد سوف أصفف لك شعرك بطريقة رائعة الان!»
في تلك اللحظة كبيس شعر كل من الملك والمستشار وانتصب كأنه الشوك وقفزت قطة الملك البدينة فقد كان فراؤها قد تحول الى اعواد منتصبة.
- «كلا، ان الضباب لايناسبني» قالت السحابة بصوت واضح.» فالضباب شيء متميع، وأحمق. وانا الان اريد ان اتحول الى شيء قوي، ومخيف...»
في الحال، بدأ الضباب ينجلي كالحليب الذي يخلط بالماء. ومن خلاله بدأ العرش، والكراسي والنوافذ بالظهور.
ولم تمض لحظة اخرى حتى تلاشى تماما بعد ذلك ظهر كركدن ابيض كبير في وسط الصالة. فتح الكركدن فكيه. وبدأ يسير باتجاه الملك وجسمه يرتج، وبطنه تلامس الارض.
اسرع الملك وصعد فوق العرش خائفاً وصعدت القطة التي كانت تموء بخفوت على الكرسي وجلست هناك.
-« لاتخف ياصاحب الجلالة! انها السحابة! «قال المستشار ذوالاذنين الكبير تين بصوته الذي يشبه فحيح الافعى، وأضاف

انها ليست سوى سحابة سيئة الاخلاق انها لاتستطيع ان تفعل شيئا سوى الطيران فوق الاشجار. وانزال المطر فوق سقوف الفقراء . دعوتها مرة كي نلعب الورق ، لكنها كانت باردة القدمين وهربت انني اؤكد لك ياصاحب الجلالة، انها لاتستطيع ان تقرأ وتكتب بل انها لاتعرف ماهي الساعة ولأي غرض تستخدم... !»

-« انا لاعرف ماالساعة؟» صرخ الكركدن وقد استشاط غضبا . سوف اعلمك كيف ان جميع الساعات الكبيرة هي صديقات لي وانا اعرف كل شيء عنها ولقد جلست على رقاصاتها. وانها حدثتني عن الوقت وسبب عدم توقفها.»

-« انت تكذبين! همس ذو الاذنين.

« انك تخدعني؟ ولن اصدقك ابدا هذه ساعة اخبرينا كم الوقت ان كنت صادقة؟»

-« حسنا سأفعل؟»

-«كلا ! ليس بامكانك ذلك ! «

-«بل سأفعل ! »

تساقطت قطع من السخام الاسود من المدخنة المنتصبة فوق النار الكبيرة وفجأة ظهر سوتي خارجاً من المدخنة وسقط فوق الرماد. فتحول من الاسود الى الرمادي.

-« من هنا !»صرخ سوتي للسحابة وهو يفرك عينيه ويسعل

هيا، اخرجي من المدخنة والى الخارج. بسرعة!»
امسك الملك بذراع سوتي وصرخ
«لقد قبضت على جاسوس!»
ولكن من مفارقات الحياة انه لايوجد ملك بامكانه الامساك بذراع منظف المدخن، لفترة طويلة فقد تخلص سوتي من الملك، وركض نحو السحابة وصاح:
- «اتبعيني! هيا اسرعي أيتها السحابة العزيزة!-«ولكن، قبل ذلك يجب ان أُعلم هذا الجاهل، بانه لايعرف شيئا عن السحب!» واندفع الكركدن نحو الساعة الكبيرة وهو مغتاظ.
دقت الساعة الكبيرة بانفعال. كانت تريد أن تحذر السحابة من الخطر المحدق بها ولكن السحابة التي أحست بانها أهينت فقدت كل عقلها وصوابها.
-«سوف ترى ماالذي تستطيع السحابة الحقيقية أن تفعله! ان عقرب الساعات قد آجتاز الرقم ثلاثة آه..سوف ترى والآن فان عقرب الدقائق....انتظر لحظة...!
كانت السحابة تفكر بكل قدرتها وتركز انتباهها بحيث تحولت الى ساعة جدار.
- «سوف أرفع الغطاء من فوق الساعة، كي يكون باستطاعتك الرؤية بشكل أفضل!» اسرع ذو الاذنين الكبيرتين ورفع الغطاء الزجاجي الذي تُغطى به الساعة للمحافظة عليها من الرطوبة.

ساد صمت قلق في الصالة.

-« الثالثة وخمس وثلاثين دقيقة!» هتفت السحابة بلهجة منتصرة.

في تلك اللحظة اندفع ذوالاذنين الكبيرتين نحو السحابة على أطراف أصابعه وبسرعة وضع الغطاء الزجاجي فوقها.

« لقد انتهى الأمر ياصاحب الجلالة!» قال، ذوالاذنين الكبيرتين بصوت هادىء متعب« والآن ستنتهي من أمر منظف المداخن هذا!»

ولكن سوتي اختفى عن الأنظار؛ ذرات من السخام الاسود فقط كانت تتساقط من المدخنة

كانت السحابة تضرب على جوانب الغطاء الزجاجي في غضب شديد وقد استحالت الى لون أبيض ناصع وكانت ذراعا الساعة تدوران بسرعة يسابق أحدهما الآخر.

- «أوه..حسناً! سأبقى هنا ! لايهمني ذلك بل اني مرتاحة هنا !صرخت السحابة وتردد صوتها ضعيفا خلف الغطاء الزجاجي

« انك لاتستطيع أن تفعل أي شيء لي!»

- «اذن. انت تعتقدين ذلك» قال ذو الاذنين الكبيرتين بصوته الهامس. وبهدوء شديد ثم أضاف: «سوف نجمدك»

-« ولكن كيف عرفت ذلك !» تساءلت السحابة وهي ترتجف.

- « اوة...اخبرتني سحابة مخمورة...» قال ذو الاذنين

الكبيرتين، وعيناه الصغيرتان تلمعان بالشر والانتصار.

–«لقد انتهى الامر تأوهت السحابة متألمة، «لقد كنت اعرف ان كل شيء سوف ينتهي نهاية سيئة..».

وتوقفت العقارب عن الحركة.

الفصل الحادي والعشرون



كيف ظهرت الضفدعة روزيتا فوق مائدة بارباتوت؟

كانت رغد تبكي..

لم تكن تبكي، بل كانت تنتحب، منذ خمس ساعات، دون توقف، وقد تورم أنفها واختفى النمش من وجهها.

وضعت رغد يديها على فمها، ودفنت وجهها في الوسادة، لكنها لم تستطع ان تتوقف عن البكاء.

كانت بارباتوت تقف بالقرب من رغد، وقد ضمت قبضتها بغضب شديد.

حاولت بارباتوت تهدئة رغد بشتى الاساليب التي كانت تعرفها، ولكن هذه الاساليب لم تنفع، بعد ذلك أمسكت بارباتوت بالفتاة وراحت تهزها بعنف وغضب، ومن المدهش حقا ان رأس رغد بقي فوق رقبتها ولم يحلق من النافذة.

- «اخبريني ماذا حدث ؟ ؟ »
لكن رغد استمرت في بكائها ونحيبها.
- «أجيبيني، أيتها الفتاة المشاكسة !»

ولكن رغد استغرقت في البكاء بصورة أشد. هنا تصرفت بارباتوت بطريقة بالغة الغرابة، وغير متوقعة، . فقد انطلقت آهة عميقة من صدرها، ثم أخذت رغد بين ذراعيها النحيفتين، واحتضنتها، وتسارع تنفسها وفجأة أجهشت هي الأخرى بالبكاء.

- «ارحميني.. انا امرأة مسنة.. انني لا أحتمل أن أراك باكية ؟! لا أحتمل ! سوف أموت ! اخبريني ماالذي حدث ؟»

بدأت رغد تحدث بارباتوت، وهي لاتزال تبكي، عن صداقتها مع السحابة، وعن فيرميليون وسوتي. وعن ذهاب السحابة الى البلاط، واختفائها.
مسحت بارباتوت أنفها بطرف ثوبها وقالت:
- «لماذا نواصل جلوسنا هنا، ودون أن نعمل أي شيء ؟ هيا نذهب الى فيرميليون هذا، أو أي اسم كان يحمل ! اين معطفي ؟»
انطلقت بارباتوت في الغرفة، تجري مسرعة، تصطدم بالمقاعد وتقلبها، بقوة مدهشة.

«ماالذي يدعوني الى التفتيش عن هذه السحابة ؟»
تمتمت بارباتوت. «ماهي السحابة ؟ أنها ليست سوى مادة رطبة وهواء – هذا كل شيء ما الذي جرى لي في آخر سنوات عمري ؟ يالي من عجوز حمقاء – وضعت نفسي في مأزق مع فتاة حمقاء مشاكسة، وقطعة رطوبة ؟ !»

ارتطمت حفنة رمل بزجاج النافذة، أسرعت بارباتوت وفتحت النافذة.

– «هل هذا هو الفنان ؟ شعر طويل ومغطى بالأصباغ ؟ »

كان الفنان فيرميليون يقف تحت النافذة.

– «تعال الى هنا، أيها الفنان الذي ترش الأصباغ ! وأسرع !» هتفت بارباتوت.

جاء فيرميليون الى الغرفة، كان يحمل رزمة في يده. وقد كان في الحقيقة منديلاً لف به شيئاً كان لايزال يتحرك.

وضع فيرميليون الرزمة على المنضدة بحذر شديد، ثم فتح المنديل، في داخله كانت الضفدعة روزيتا، وهي تتنفس بصعوبة واعياء. وكانت بطنها ترتفع وتنخفض، بينما امتلأت عيناها بالقلق.

– «ماذا !» صرخت بارباتوت . «ضفدعة فوق منضدتي ! آه! ارفعوا هذا الشيء الفظيع ! أرموها من النافذة والى الخارج!»

وأمسكت بارباتوت بطرف المنديل وسحبته بكل قوتها

ولكن رغد استطاعت أن تمسك روزيتا وضمتها الى صدرها، وهي تقول :

– «انها الضفدعة روزيتا ! انها صديقة السحابة !» – «بلا شك اني عجوز مجنونة !» قالت بارباتوت وهي ترفع يدها الى الأعلى وتنظر الى السقف، وكأن السقف هو الوحيد القادر على ان يفهمها . «مع من أدخلت نفسي ؟ فتاة مشاكسة. سحابة. رشاش اصباغ وضفدعة ! كلا.... كلا.... لقد آنَ الأوان لغلي عظامي وعملَ حساء منها !» سعلت الضفدعة روزيتا. وبعثت أُصواتاً وهي في يد رغد.

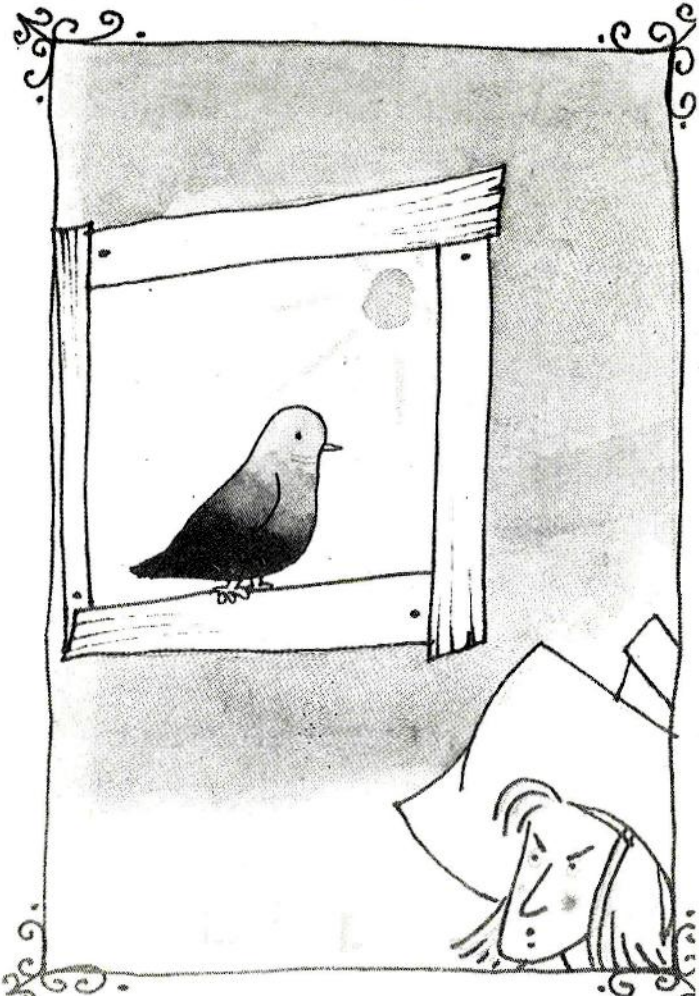
«هي.. كري.. بي.. فرر... كوا..»

– «أنها تقول» بدأت رغد تشرح «بأن اي احد لايعرف عنها شيئا. فالخفافيش نسيت كل شيء بسبب وقوفها فترة طويلة وهي متعلقة بصورة معكوسة، وقد رأى فيلسوف الليل السحابة، عندما تحولت الى ستارة وتعلقت بالنافذة. ولكن شخصا ما أدخل مصباحاً الى الصالة، ولم يستطع البوم – فيلسوف الليل. رؤية أي شيء آخر».

جلست حمامة سوداء على حافة النافذة ! كانت فاحمة السواد، وتركت أظفارها اثاراً سوداء على حافة النافذة

– «هذه ليست حمامتي ! أُغربي عن وجهي !»

صرخت فيها بارباتوت .



– «أنها حمامة سوتي !» هتفت رغد.
وفي اللحظة نفسها ظهر سوتي من خلف النافذة. بدت بارباتوت وكأنها ستنفجر...
– «لقد اجتمع الشمل !! اذن فقد كان ينقصنا منظف مداخن !»
– «هل يمكنني أن أدعوه للدخول ؟» قالت رغد متوسلة.
– «حسناً ، ادعيه يدخل !» قالت بارباتوت وهي تطوي ذراعيها على صدرها» لم يعد يهمني شيء. ادعي جميع الضفادع، والفنانين ومنظفي المداخن... لا تتأخري.. ولا تلقي بالاً لي... أرجوك.. فلست سوى امرأة عجوز... هذا كل مافي الأمر» دخل سوتي الغرفة. كان يشبه هيكلا عظميا صبغ باللون الأسود. النسيم الذي دخل من النافذة، جعل الفتى يتأرجح.
– «هل توصلت الى شيء؟» سألت رغد بنفاذ صبر.
– «لقد جلست داخل المدخنة خمسة ايام» قال سوتي باجهاد وتعب. » ظننت ان الليل قد هبط على العالم بصورة دائمة. ولكن حمامتي اطعمتني؟ فقد كانت تسرق فتات الخبز والطعام من المطبخ، وتطعمني».
– «ياللسماء !» هتفت بارباتوت وضربت جبهتها بقبضتها بحيث ظهرت كدمة كبيرة في الحال. «هذا نتيجة تخبطي مع فتاة مشاكسة شيء رطب، رشاش أصباغ، وضفدعة! آه!»

وحدقت بغضب في أتجاه روزيتا. «والان، إطعام منظف مداخن يكاد يموت من الجوع!».

اندفعت بارباتوت الى المطبخ، وعادت بصحن مليء بطعام ساخن.

– «تناول هذا! حالاً»! قالت بارباتوت بلهجة الأمر لسوتي.

– «ولكن، ماذا بشأن السحابة؟ ألا تعرف أي شيء عنها؟» سألت رغد في يأس وحزن.

– «ألم اخبرك؟» قال سوتي حزينا وهو ينظر الى رغد. «لقد وضعوا الغطاء الزجاجي الذي يشبه الجرس الكبير، فوقها، ثم قالوا لها: «سوف نجمدك».

رفعت الضفدعة رأسها، وبعثت بأصوات حزينة. وسقطت دمعتان شفافتان من عينيها.

استدار فيرميليون في حزن.

– «لقد فقدنا كل أمل...» همست رغد.

«لن أراها ثانية أبداً.. سحابتي..»، خيم الصمت على كل من في الغرفة. شعروا جميعاً ان شيئاً فظيعاً قد حدث، دون ان يستطيع أحدهم تهدئة أو مواساة الآخر.

– «أنا أعرف!» هتفت بارباتوت فجأة. «لماذا لم أفطن الى ذلك من قبل؟

لماذا يضعون الحرس عند القبو؟ والمدافع؟ ولماذا لايسمحون

لأي شخص بالاقتراب منه ؟ لاشك أنهم وضعوها هناك، سحابتكم العزيزة!».

— «ألاتوجد هناك مدخنة ؟ حتى لو كانت ضيقة جداً؟» سأل سوتي بسذاجة. كان يمسك بقطعة من المعجنات التي جلبتها له باربانوت ، دون ان يأكل منها.

— «بالطبع لايوجد، أيها الولد الأحمق!» صرخت باربانوت باحتقار.

«لكي توجد مدخنة، يجب أن يوجد موقد، وهل يعقل ان يوضع موقد في مخزن للثلج !!؟»

— «ولكن، ربما نستطيع أن نفعل شيئا ما» قالت رغد في يأس.

— «ليس هناك مانستطيع أن نفعله ! هل فهمت ؟» قالت باربانوت بلهجة صارمة. «أنهم لايسمحون لأي شخص بالاقتراب من القبو».

— «ولكن.. إذا حاولت؟».

— «لن أفعل ابداً».

— «ولكن...».

— «اياك أن تطلبي مني ذلك!» قالت باربانوت بحزم. «لقد اخبرتك، بأننا لانستطيع أن نفعل شيئاً. وعليك نسيان السحابة».

الفصل الثاني والعشرون



هل يستطيع الملك تناول سميد مصنوع من الماء؟

كانت الحرارة شديدة في المطبخ، فبدت وجوه الطباخين الرجال والنساء حمراء، بينما بدت وجوه الأولاد وردية.

وجه رغد كأنه الوحيد الذي بدا مائلا الى الخضرة.

كانت بارباتوت قد أخذت رغد معها الى البلاط لأول مرة.

حدقت رغد في خوف الى الموقد الكبير كان الموقد يتوهج ويبعث أصواتاً مختلفة كأنه تنين مزمجر.

كان الملك يستعد لاقامة احتفال كبير.

– «سوف نحتفل اليوم احتفالاً كبيرا» اعلن الملك لافراد حاشيته، ثم اضاف: «ولن اخبركم سبب احتفالنا هذا. بالطبع، انا اعرف السبب، ولكن ليس هناك مايدعوني لاخبار أي منكم عنه. اليوم سوف نشرب نخب حدث، ونفرح به ومن لايريد

مشاركتنا سوف نرسله الى السجن مباشرة».

العديد من أنواع المعجنات كانت تطبخ على النار. وأعداد لاتحصى من الدجاج الرومي والبط كانت تشوى في الفرن. وكانت هناك كعكة لذيذة قد أعدت خصيصاً وهي تبعث برائحة مغرية.

لذلك، فلم يكن من المستغرب وجود عدد كبير من القطط، جالسة فوق سطح المطبخ تتشمم الروائح المنبعثة من مطبخ الملك. كانت القطط ترمش بعيونها، وتلعق شفاهها.

— «عزيزتي بارباتوت» قال رئيس الطباخين، وهو يتقدم نحوها على أطراف اصابعه. «بالطبع فان اعداد الطبق الرئيس يجب ان يتم من قبلك، وحدك، فانك ستعدين حلاوة الطحين الأبيض، وقد أحضرنا خمسة قناني من الحليب لهذا الغرض.

نظرت بارباتوت الى القناني، وقربت احداها من انفها، وشمتها بحذر، وهزت يدها فوق القناني، بعد ذلك صبت بعض الحليب في قدح صغير، وتذوقته، وصاحت:

— «انه حليب فاسد!»

ثم جربت بعض الحليب من القنينة الثانية، وهتفت:

— «وهذا أيضا!»

ثم فحصت القناني الأخرى... وهتفت:

— «ماهذا الذي جلبته لي؟ أنه فاسد!»

فقد وجدت أن الحليب في القناني كلها كان فاسداً. تملك الخوف الطباخ وقال وقد امتقع وجهه:

- ولكن... كيف فسد الحليب ؟»

- «كيف... كيف...» قالت بارباتوت وهي تقلده. «ان الحرارة من الشدة والارتفاع في المطبخ، بحيث أني اشعر بأن دمي قد فسد وأصبح حامضًا. فكيف بالنسبة للحليب...» امتقع وجه الطباخ حتى بدا أبيض جدًا.

- «بارباتوت العزيزة ؛ سوف آمر بحلب جميع الأبقار الآن. كوني واثقة سوف أجعلهم يحلبون الحليب. وسوف تحصلين على الحليب».

- «سوف يفسد ويصبح شديد الحموضة»

أجابت بارباتوت وقد اشتد غضبها. «ليس أمامنا حل آخر.. سوف أصنع حلاوة الطحين بالماء اليوم!»

- «بالماء!» كان هناك رعب حقيقي في وجه رئيس الطباخين. «ولكن ليس هناك ملك يتناول حلاوة الطحين المصنوعة بالماء!»

- «على أية حال.. على ملكنا أن يجربها اليوم. ليس أمامنا حل اخر.. حلاوة الطحين المصنوعة بالماء» !

كلا.. كلا؟ لا تتفوهي بهذه الكلمات.

من المؤكد أن بأمكاننا أن نفعل شيئًا ما».

صرخت فيه بارباتوت.

- «ولكن أرجوك... أتوسل إليك أن تحاولي إيجاد حل اخر!...»
- «كلا.. كلا ليس هناك اي حل آخر. مع انه... لربما...».
- «أجل... أجل! ماذا؟... ارجوك؟»
- «اذا حصلنا على بعض... كلا... ولكن ذلك مستحيل»
- «ولكن، اخبريني... يابار باتوت العزيزة!»
- «اذا حصلنا على بعض الثلج من القبو، نستطيع أن نضع الحليب فوق الثلج، فلا يفسد، تراجع الطباخ الى الخلف، وهز يده يائساً:
- «ذلك مستحيل! أنت تعرفين تماماً، بأنهم لايسمحون لأي شخص بالاقتراب من القبو».
- «هذا ما كنت أقوله لك... بأنه شيء مستحيل. سوف أصنع الحلاوة بالـ...»
- «لاتقولي ذلك!» صرخ الطباخ. «سوف يفسد الطعام الذي أعده للاحتفال. السمك بالكاري... والمعجنات... كل أنواع الأطعمة.. وسوف يغضب الملك...»
- «ليس هناك حل آخر أمامي.. يجب أن استعمل الـ...»
- «حسنا... حسناً! سوف أحاول. أن رئيس الحراس هو ابن عمي انه رجل ممتاز، طيب القلب، وغير اناني....».
- «هذا أمر يعنيك انت وحدك» قالت بارباتوت بلا اهتمام،



واستدارت، لكنها ضغطت على يد رغد بقوة حتى كادت تحطمها.

– «سوف اذهب بنفسي الى القبو، وأجلب سطلاً مليئاً بالثلج». قال رئيس الطباخين وهو يلف رقبته بلفاف سميك، ويضع قبعته على رأسه.

– «اسرع إذن ياعزيزي!» قالت بارباتوت وهي تضحك بصوت مدو.

– «ما الأمر؟ تساءل رئيس الطباخين بقلق وهو ينظر الى بارباتوت.

– «يجب عليك أن تعرف بعض الحقائق المهمة عن الثلج. الثلج الأزرق لايفيد، لأنه شديد البرودة، وسوف يتجمد الحليب ولا يمكن استعماله للحلاوة. الثلج الأصفر سريع الذوبان. واياك ان تجلب ثلجا أخضر – فهو يصبح ساماً في بعض الأحيان، وخصوصا في نهاية الشهر..

– «بارباتوت!» قال رئيس الطباخين متوسلاً.

« قدمي لي خدمة لن انساها ؛ أرجوك أن تذهبي بنفسك لاحضار الثلج. فأنا لا أعرف أي شيء عنه.»

– «أوه... كلا! ان انني مصاب بالزكام ولا أريد أن تتأزم حالته»، قالت بارباتوت بلهجة غاضبة.

– «أتوسل اليك!»

– «إن عظامي تئن الليل كله، وقدماي تؤلماني أثناء الليل ؟»
– «ارجوك.. أتوسل اليك!»
– «ان السعال ينتابني بشدة!»
– «بارباتوت! أرجوك!!»
– «أوه... حسناً» وافقت بارباتوت أخيراً مرغمة..
– «اوه... أنا لا أعرف كيف أشكرك ياعزيزتي بارباتوت!»
هتف رئيس الطباخين بارتياح.
اسرع رئيس الطباخين وحمل ستة بطات مشوية، دجاجة محمرة، وسمكة كبيرة مشوية.
– «لمن هذا كله؟؟» تساءلت بارباتوت في دهشة.
ظهر الارتباك على رئيس الطباخين.
– «أوه... إن أبن عمي رجل طيب، وغير اناني... لكنه لايحب ان يأتي اليه زواره فارغي اليدين... انت تعرفين...»
واسرع رئيس الطباخين خارج المطبخ وهو يحاول ان يحمل المزيد.



الفصل الثالث والعشرون



ايتها السحابة! أين انت؟

عاد رئيس الطباخين الى المطبخ فارغ اليدين، ملابسه ملطخة، ببقع الزيت، وآثار البط المشوي، والسمك والدجاج لازالت ظاهرة على ملابسه.

— «ياله من رجل ممتاز، طيب، وغير أناني!» قال رئيس الطباخين وهو يمسح يده الملوثة بالزيت.

— «اسرعي، يافتاة! انك آتية معي!» هتفت بارباتوت وهي تدفع رغد بقوة. وبعد ان حملت سطلا فارغاً، ودفعت رغد امامها انطلقت خارجة من المطبخ.

كان القبو مثل قلعة محصنة. فقد انتصبت مدافع من بين الاعشاب والزهور، وانتشرت رائحة بارود في المكان.

وكان رئيس الحرس متكئا على احد المدافع، ممسكا بيده

دجاجة مشوية وبين اسنانه قطعة لحم كبيرة منها يأكل متلذذا بها.

خطفت بارباتوت المصباح من يد رئيس الحرس، واتجهت الى السلالم التي تؤدي الى القبو، واسرعت رغد خلفها خائفة من أن تبقى لوحدها. كانت رغد تتبع الضوء المنبعث من المصباح وظل بارباتوت الضخم. خلفهما سار رئيس الحرس وهو يتجشأ.

هبطوا العديد من السلالم، شعرت رغد بالبرد والرطوبة تتسلل الى قدميها. ثم الى معدتها، ثم الى رأسها.

اخيرا وصلوا باباً ضخمة دفعتها بارباتوت ودخلت مع رغد الى القبو الذي يوضع فيه الثلج.

كان الضوء المنبعث من المصباح ينعكس على قطع ضخمة من الثلج والتي بدت مثل جبال شفافة. قلاع، وأبراج، وجسور.

سرت رعشة في داخل رغد. ولكن ليس بسبب البرد. الان فقط ادركت صعوبة العثور على السحابة.

– «هيا، خذي ماتشائين من قطع الثلج» قال رئيس الحرس وهو يتجشأ... «فلدي كمية من الدجا...ج والب..... ط... في انتظار...ي..».

– «هيا....» همست بارباتوت لرغد. بدأت رغد تقلب قطع الجليد الثقيلة.

– «اسرعي !» هتف رئيس الحرس الملكي بغضب، «اوه... لاشك انهم بدأوا يأكلون الدجاجات...».

شعرت رغد بالخدر في يديها بسبب البرد، وكانت قد جرحت يدها بقطعة من الثلج، اوه... اني لن استطيع العثور على السحابة في شهر كامل هنا» فكرت في نفسها في يأس. لاشك أن الفكرة نفسها راودت بارباتوت.

– «هيا نخرج.. لن نستطيع أبدا...».

همست قائلة لرغد.

هزت رغد رأسها بعناد.

– «لن اخرج من هنا من دون السحابة... افضل البقاء والتجمد...».

نظرت بارباتوت الى رغد،هزت رأسها، وفجأة ابتسمت ابتسامة هادئة.

«أنها تبتسم !» قالت رغد في نفسها ولم تستطع ان تفهم شيئا. «وفي وقت كهذا ؟».

– «هيا... اسرعي !» صرخ رئيس الحرس وهو يمسك رغد بخشونة من كتفها.

من الواضح جدا انه لم يكن يعرف بارباتوت حق المعرفة. فقد قفزت عليه كاللبوة، طرحته ارضا، ووضعت السطل الفارغ فوق رأسه، ثم دفعت السطل بقبضتها حتى غطى رأس رئيس

الحرس الذي وقع أرضا كالحمل الصغير.

– «اسرعي!» هتفت بارباتوت.

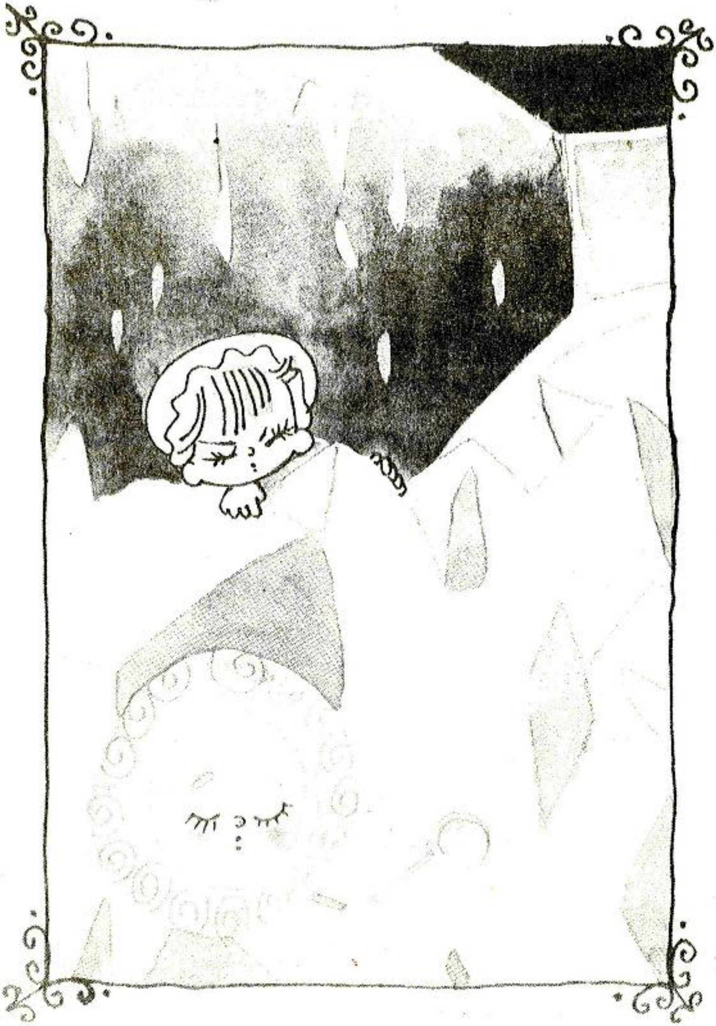
نظرت رغد في يأس في اطراف القبو. فجأة، وفي الصمت الذي خيم ؛ سمعت رغد شخيرا ضعيفا. وصوت انفاس متقطعة وبكل قوتها، بدأت تزيح قطعة ثلج كبيرة وثقيلة، وضعتها جانبا، ثم ازاحت قطعة اخرى... واخرى. كان الدم يغطي يديها، لكنها لم تلقِ بالاً تحت اكداس الجليد التي ازاحتها جانبا، شاهدت رغد قطعة ثلج بدت غريبة الشكل للغاية. فقد كانت على شكل ساعة قديمة جدا، كسر عقرباها.

انحنت رغد فوقها، سمعت انينا خافتا.

– «وجدتها!» همست بفرح وابتهاج.

– «اسرعي، ايتها الكسول! هتفت بها بارباتوت. «لقد تجمدت حتى العظم!» ضمت رغد الساعة الثلجية الى صدرها، ووضعت عقربيها الثلجين، واجزاءها الشفافة الاخرى التي سقطت منها، في حجرها. وضعت بارباتوت معطفها فوق كتفي رغد لأخفاء الساعة الثلجية.

سحبت القبعة غير الاعتيادية من فوق رأس رئيس الحرس، وملأت السطل بالثلج بأقصى سرعتها، وانطلقت خارجة من القبو تتبعها رغد. وتبعهما رئيس الحرس دون ان ينبس بكلمة، وهو يترنح على السلم.



كان الحراس يقفون عند المدافع التي تحرس القبو، واختفت جميع الدجاجات المشوية واصناف الطعام الاخرى.

– «ايتها الفتاة الكسول! هل نسيت ان تطعمي الحمام ثانية ؟ !» صرخت بارباتوت بصوتها المدوي. «اذهبي الى البيت حالاً!».

ركضت رغد عبرالشارع.

التقطت بارباتوت قطعة صغيرة من الحجر ورمتها خلف رغد. ولكن الحجر، لسبب ما، انطلق في الاتجاه المعاكس.

ضمت رغد المعطف وأحكمته حول السحابة. كانت قطرات من الماء المثلج تتساقط من جسم رغد. كانت الشمس تبعث بحرارة شديدة، ولكن رغد كانت تشعر ببرد يصل حتى العظم، بل كانت تخشى ان يصل البرد الى قلبها فيوقفه عن الخفقان.

وكانت السحابة تصبح أخف وزناً. تململت قليلاً، وتنهدت، ثم بدأت تتثاءب وتتمطى.

فجأة، شعرت رغد بشيء بارد حول رقبتها – كانت السحابة قد مدت يدها وطوقت رغد.

سارت نحو البوابة الحديدية الكبيرة وهي خائفة.

ورأت جنجر وثالث، الحارسين مستلقيين على العشب، من شدة الحر.

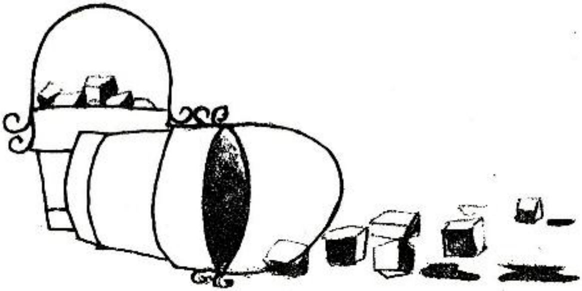
– «توقفي!» صرخ ثان.

– «أوه... أخرس..» تمتم جنجر في ضيق.
– «انها تخفي شيئا ماتحت المعطف!» قال ثاك في زيبة.
– «انها الفتاة التي تعمل لدى بارباتوت دعها وشأنها! هذه نصيحتي لك»، قال جنجر في كسلٍ وهو يفتح عينيه بصعوبة.
– «ماذا تخفين تحت معطفك؟» صرخ ثاك وهو يجر رغد من يدها ومد يده تحت المعطف.
– «انها متجمدة!» هتف في دهشة. «لايوجد شيء ، لكنها في برودة الضفدعة!»؛ انطلقت رغد خارجة من البوابة. عبرت ساحة البقرة الوحيدة. وركضت عبر الازقة والشوارع الاليفة اليها، نحو بيت بارباتوت.

كان كل من فيرميليون، سوتي والضفدعة روزيتا ينتظرون قلقين، فارغي الصبر.



الفصل الرابع والعشرون



ماذا يحدث اذا انزلقت فوق قشر ليمون؟

أتجهت بارباتوت منتصرة الى المطبخ، تحمل بيدها سطلا مليئا بقطع من الثلج.

حملت خادمتان صغيرتان متوردتا الخدين قنينة من الحليب.

رفست بارباتوت السطل فتدحرجت قطع الثلج على ارض المطبخ.

– «انك تتصرفين بحماقة، ياعزيزتي بارباتوت !» هتف رئيس الطباخين في خوف. «ماهذا الذي تفعلينه ؟ ! ان الحليب سوف يفسد ثانية ! ».

– «كلا .. انه لن يفسد أجابت بارباتوت بغموض. «هل تظن ان الحليب بمثل حماقتك ؟ كلا، ياعزيزتي، انه يحتاج فقط الى التأكد من وجود الثلج في المطبخ !». وفي هذه المرة، لم يفسد الحليب !

وسكبته بارباتوت في القدر الكبير، فتدفق منساباً، وسميكا.. صعدت بارباتوت على مقعدها المرتفع، وأنهمكت في اعداد حلاوة الدقيق الأبيض.

وفي هذه المرة، أعدت الحلاوة بحماس لم يسبق له مثيل من قبل. وكان وجهها يرتفع وينخفض من خلال سحب البخار المتصاعد من القدر.

بل أنها بدأت تغني أثناء عملها. كان ذلك شيئا غير اعتيادي. فلم يبق لأحد ان سمعها تغني من قبل ابداً.

وكما تعلم، عزيزي القاريء فان ابن عم رئيس الطباخين كان رئيس الحرس الملكي. ولكن كان لرئيس الطباخين، ابن عم اخر، هو مجرم وقرصان دموي. وعندما انصت رئيس الطباخين لاغنية بارباتوت شعر برجفة خوف جعلته يرتجف، فقد ذكرته الاغنية بابن عمه القرصان الدموي!

– «الحلاوة جاهزة؟» هتفت بارباتوت وهي ترمي بمجرفتها جانبا.

وكانت الحلاوة رائعة حقاً ؛ وهبطت بارباتوت من مقعدها المرتفع، وهي تشعر بالاعياء الشديد.

أخذ رئيس الطباخين بيدها، وأوصلها الى الباب حيث خرجت ذاهبة الى بيتها.

«والآن، يجب أن أجرب هذه الحلوى التي صنعتها» قال

رئيس الطباخين بصوت متعب، لكنه واثق. «أرجو أن تكون جيدة ...».

وسار صوب الفرن حيث كانت الحلوى تغلي على النار.

ولكن الحوادث يمكن ان تقع لأي انسان، حتى اذا كان رئيس طباخين.

فبعد أن قام رئيس الطباخين بثلاث خطوات فقط، تزحلقت قدمه بشيء ما، وسقط أرضاً.

- «من الذي وضع هذا تحت قدمي؟ من الذي تعمد اسقاطي؟!» صرخ غاضبا وهو يحاول أن يقوم على قدميه بصعوبة ويمسك بيده نصف ليمونة.

خيم الصمت في المطبخ. القدور فقط بقيت تغلي وتصدر أصواتا دون أن تعير اهتماما لشيء.

- «انا أعرف!» قال أصغر خادم في المطبخ بصورة غير متوقعة. كان اسمه فلفل وكان العمل الوحيد المكلف به هو إيصال الملح والفلفل الى الطباخين عندما يحتاجون اليهما.

وبعد ان هتف «فلفل» قائلاً: «أنا اعرف»، شعر بالندم، وتمنى لو انه استطاع سحب كلمته، كل من في المطبخ حدق فيه. فتكور على نفسه خائفاً، وتمنى في تلك اللحظة أن يختبىء في القبعة التي كانت أكبر حجماً منه.

- «من؟» صرخ فيه رئيس الطباخين.

– «أنها تلك المرأة العجوز التي تَعِد حلاوة الدقيق !» أُجاب فلفل وهو خائف.

– «بارباتوت ؟ !».

– «لقد قطعت الليمون الحامض الى نصفين، وعصرته في قناني الحليب ! ».

– «أنت تكذب ! سوف أقطع أُذنيك !».

– «انها الحقيقة !» صرخ فلفل بصوت رفيع، والعرق يتصبب منه. «لقد عصرت الليمون» ورمت القشور تحت المقعد.

ركع رئيس الطباخين على ركبتيه، ونظر تحت المقعد، بنفسه، ورأى بعينيه كومة من قشور الليمون هناك.

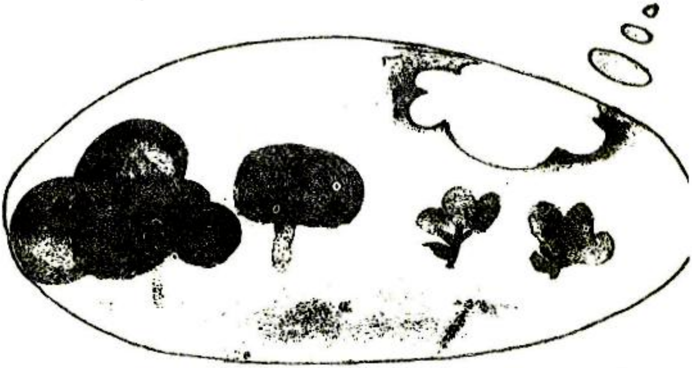
– «انني لاأستطيع ان أفهم ....» قال رئيس الطباخين وهو يبسط يده في اضطراب تام.

«ان عصير الليمون يجعل الحليب حامضاً في الحال. فلماذا تفعل ذلك ؟ ثم أنها طلبت بعض الثلج بنفسها ..».

اسرع رئيس الطباخين بوضع يده على فمه ونظر فيما حوله نظرات زائغة، دون ان يقول شيئاً.

ارتفعت قبعته فوق رأسه فقد انتصب شعر رأسه من شدة الخوف، ومن دون أن يقول كلمة أخرى خرج من المطبخ.

الفصل الخامس والعشرون



ماذا منع السحابة من وصف حلمها؟

جلست السحابة على السرير، وكانت تعطس بشدة، وبصوت مرتفع.

كان منظرها مضحكاً. فقد بدت برأس يشبه رأس رغد وضفيرتين مضحكتين ملتصقتين به وساعة ذات عقرب واحد في الوسط. وذنب سمكة كان كل ماتبقى من حورية البحر.

«أ – شتو!» عطست السحابة، وطقطق البرق في داخلها مثل ملعقة في قدح مكسور.

– «رحمك الله»، قال كل من فيرميليون وسوتي، في صوت واحد.

كانت الضفدعة روزيتا تجلس في إناء حساء عميق، تدير عينيها برضى تام.

اما رغد فقد كانت تبتسم بسعادة عميقة، وهي تطعم السحابة مربى مع الشاي، اندفعت بارباتوت الى الغرفة.

اصطدمت بيد رغد، فسقط كوب الشاي من يديها، ثم أزاحت الغطاء عن السرير وحاولت أن تمسك بالسحابة. حاولت أن تمسكها من يدها، ثم من ذيلها ولكن وكما هو واضح، فان ذلك كان مستحيلاً تماماً.

«اوه، انكِ تدغدغيني!» قالت السحابة وهي تضحك.

«ماذا؟» هتفت بارباتوت. «أنها غير موجودة على الاطلاق! وكل ذلك الجهد والتعب ذهب عبثا!

— «أ.. تشو!» وكادت السحابة ان تنفصل الى قطعتين من قوة عطاسها.

(— «انها تعطس..» أصيبت بارباتوت بدهشة كبيرة، بحيث انها تهاوت على احد الكراسي، وهي تقول «انني متعبة... جدا جدا..».

— «أهم شيء الآن هو انني... أ... تشو».

قالت السحابة بأنفعال شديد «ان النبع تحت عرش الملك في الصالة الرئيسة. من الضروري ان... أ.. تشو! اعني انه يجب ان يتحرر. بعد ذلك، سيمتلىء النهر بالماء.. أ..تشو.. وسوف ينمو العشب في جميع أنحاء المملكة، وسوف تصبح الأشجار خضراء اللون.. وسوف تتذكر الأزهار.... أ.. تشو... كيف تتفتح!».

- «ولكن. هل سيوافق الملك؟» تساءلت رغد في تردد.

- «عندما ساعدتني السحابة في الحصول على قطع الذهب، عدت الى الرسم ثانية». قال فيرميليون، «ولكن الأغنياء لم يعودوا يأتون الى الآن.

وقد بدأت برسم الناس الاعتياديين والحقيقة فان ذلك أفضل. وأكثر حيوية. فهؤلاء الناس كل شيء فيهم حقيقي، وليس لديهم وجوه أخرى. لقد رسمت صورة لصانع الساعات كل خط في وجهه يحكي عن حكمه وتجربة. وقد عقدت صداقات مع الحدادين.. وقمت برسم صور لهم في وهج النار التي يعملون بالقرب منها. انهم رجال يتحلون بالشجاعة واحترام النفس».

قفزت بارباتوت من كرسيها. وأمسكت بكتف فيرميليون وصاحت فيه:

- «قد يكون أصدقائي طباخين بسطاء، ولكنهم يستطيعون منازلة أصدقائك الحدادين الحمقى، والانتصار عليهم...».

- «عزيزتي بارباتوت» قال الفنان مبتسما، «لاحاجة لقيام معركة بين أصدقائك واصدقائي،علينا جميعا ان نتحد، وحينذاك يضطر الملك الى الاذعان».

انتابت السحابة نوبة شديدة من السعال أدت الى انفصال رأسها وذراعيها، والتي انطلقت تطوف في جو الغرفة، حتى

عادت اخيرا والتصقت بالجسم.

- «ماهذا الذي تفعليه ؟» صرخت بارباتوت وهي تنظر الى رغد. «هيا، لفي الغطاء حولها باحكام وضمدي رقبتها. وضعي بعض الشريط الطبي (بلاستر) عليها ؛ هذا مايجب عليك عمله !».

- «الشريط الطبي (بلاستر) هتفت السحابة باهتمام «أقسم بالبرق بأني سأكون اول سحابة في العالم كله تستعمل الشريط الطبي (بلاستر) ولا اعتقد بأن لدي اي مانع !».

- «علينا أولا ان نقيس حرارتها اين المحرار ؟» صرخت بارباتوت.

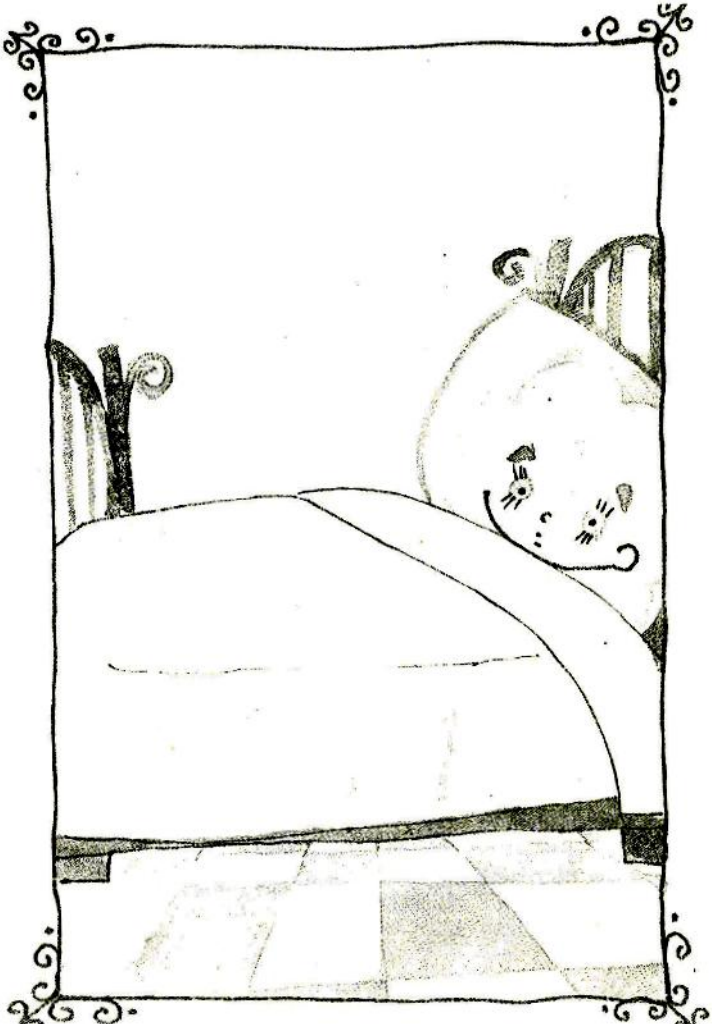
بعد ان وجدت المحرار، وضعته بارباتوت على السحابة وقالت: «ضعيه تحت ذراعك. ولكن، اين ذراع هذه السحابة ؟ ؟ هيا، اخبريني اين هو ذراعك ؟».

أخيرا وضعوا المحرار على السرير ؛ واستلقت السحابة فوقه. ولكن المحرار انفجر في الحال الى آلاف القطع المتناثرة.

- «اوه... يالهي ! ان حراراتها قد جاوزت الاربعين درجة مئوية !».

بدأت بارباتوت تذرع الغرفة جيئة وذهابا.

- «انها بحاجة الى دكتور ! اخصائي ! ولكن من ؟ فأنا لا اعرف دكتوراً متخصصا في السحب. ربما علينا ان نستشير طبيبا



.بيطريا ؟ »

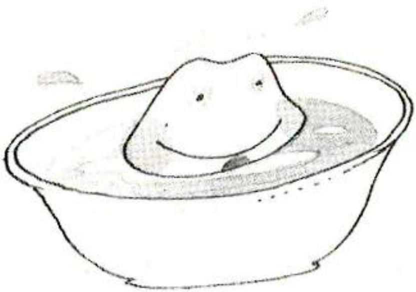
– «لا داع للقلق ...» قالت السحابة، التي شعرت بالرضا عن هذه الضجة التي أثيرت بسببها. « ماحدث هو ان شرارة برق اصطدمت بالمحرار... هذا كل ماحدث ! »

– «إذن، فأنت تتظاهرين بالمرض !» قالت لها بارباتوت بلهجة اتهام «عليك ان تشعري بالخجل من نفسك، أيتها الشيء الرطب...».

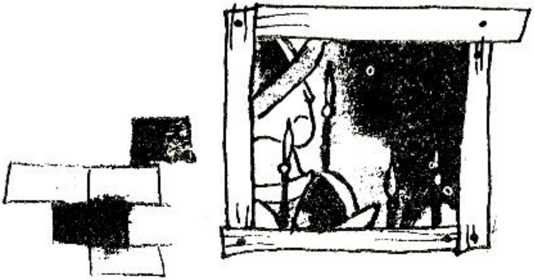
– «عندما كنت مستلقية في قبو «الثلج» قالت السحابة، «رأيت حلماً غريباً جدا.

رأيت نفسي نائمة في حقل كبير للأزهار ثم تأتي سحابة كبيرة على شكل بقرة وتلتهمني ...».

ولكن، قبل أن تنتهي السحابة من وصف حلمها الغريب، كانت هناك اثنتا عشرة قبضة تطرق بخشونة باب بارباتوت.



الفصل السادس والعشرون



برميل من الزفت

اذن ؛ فبينما كان أصدقاؤنا جالسين في الغرفة الصغيرة تحت السقف، والسحابة تحكي لهم حلمها ؛ طرقت اثنتا عشرة قبضة على الباب بقوة.

نظرت باربا توت من النافذة. لكنها لم تستطع ان ترى شيئاً سوى خوذٍ حديدية ورماح مشهرة ؛ وكأن مدخل بيتها قد تحول الى ساحة قتال، ملأى برجال مدججين بالسلاح.

وسرعان ماظهرت كوكبة أخرى من الحرس في الشارع في الجهة اليسرى ؛ بينما انتصبت ثلاثة مدافع في الجهة اليمنى.

وتدفق عدد كبير من الأشخاص نحو بيت باربا توت.

مدت باربا توت رأسها وصرخت صرخة مدوية بحيث تراجع الحرس بضع خطوات الى الخلف، وقالت:

-«ماالذي جاء بكم لزيارتي، دون دعوة مني وقد سببتم لي

التعب والانزعاج لأني بحاجة الى نوم القيلولة!».

-«لقد عرفنا كل شيء، ياباربا توت! عن حيلك وعن الليمون الحامض!». صرخ رئيس الطباخين الذي أسرع وأخرج قنينة الدواء المهدئ وتناول بضع قطرات مهدئة.

-«هاي، باربا توت! سلمينا الفتاة الصغيرة والسحابة!» صرخ رئيس الحرس الملكي بلهجة تهديد. «وسوف يسامحك الملك ويعفو عنك!».

-«افضّل أن تطبخ عظامي ويعمل منها حساء، على ان اسلّم لكم هذه الفتاة اللطيفة، والسحابة الرائعة!» هتفت باربا توت واغلقت النافذة بكل قوتها.

أسرع أحد الحراس واقترب من النافذة ووجّه كلامه الى رغد التي كانت تقف قربها:

-«ايتها الفتاة اليتيمة، العزيزة، الصغيرة! سلميني هذه العجوز التعسة، وتلك السحابة التي لاتنفع لشيء ؛ وسوف يعطيك الملك والدَين حقيقيين!!».

وكانت اجابة رغد هي انها أخرجت لسانها له.

ركض حارس آخر كان يحلم بان يصبح رئيساً للحرس، ودار حول البيت من الجهة الأخرى، ووجّه كلامه الى فيرميليون الذي ظهر عند النافذة:

-«هاي، أيها الفنان! أعطنا السحابة، والمرأة العجوز والفتاة،

وسوف ينصبك الملك أفضل فنان في المملكة!».

ولكن الفنان هزّ قبضته غاضباً.

أما سوتي، فانه قرر أن يلقي نظرة شاملة على ما كان يجري. لذا، فقد تسلق المدخنة، وصعد الى السطح. حيث جلس هناك فوق سقف المدخنة وراح ينظر فيما حوله.

—«ايها الفتى، منظف المداخن!» هتف به المستشار الاعلى ذو الاذنين الكبيرتين، بصوت ناعم.

كان ذو الاذنين حاضراً بالطبع ، وقد وقف فوق العربة. بحذائه الاسود المعتاد. كان يتحدث بصوت هادئ. ورقيق. ولكن صوته كان يصل الى مسامع الجميع.

—«اعطنا السحابة، العجوز، الفتاة والفنان! وسوف أُغطيك بالذهب من رأسك الى قدميك. وستكون اول منظف مداخن ذهبي في العالم كله».

—«احتفظ بالذهب كحذائك!» اجابه سوتي.

انقسمت السحابة الى اربعة اجزاء. وراحت تنظر الى ما كان يجري من النوافذ الاربعة في وقت واحد.

—«اوه.. ياالهي.. يبدو وكأننا محاصرون تماما!» تمتمت السحابة في قلق.

«ليتني علمّتُ رغد الطيران. انها طيبة، ملأى بالحب والحنان. وقد كان من المحتمل جداً أن تتعلم...والآن..؟ ما الذي

سنفعله؟». نظرت السحابة الى الموقد.

-«هاي.. سوتي!» هتفت السحابة.

«أخرج حمام بارباتوت. انه يعرف ماذا يفعل!».

-«انتِ.. ايتها الشيءُ الرطب، الضبابي! تصدرين الأوامر في بيتي انا! من هو صاحب البيت، انتِ ام انا؟».

وحاولت باربا توت الامساك بالسحابة، بلا جدوى.

كانت السحابة تركز تفكيرها حول موضوع مهم.

في تلك الاثناء، كان حمام باربا توت قد خرج من برجه وانطلق محلقاً تقوده حمامة سوتي السوداء.

-«حطموا الأبواب! يجب القبض عليهم أحياء أو أمواتـ» همس ذو الاذنين، وأضاف «ومن الافضل ألاّ يكونوا أحياءً!».

خرج رجلٌ من الحشد، ووقف في الأمام وصاح:

-«نريد ان نعرف ما الذي فعله الطفلان الصغيران، المرأة العجوز، والفنان؟».

تقدم منه عشرة من الحراس وقبضوا عليه وجروه من يديه.

ولكن، في تلك اللحظة، أسرع عشرة رجال آخرين، وخلصوا الرجل من الحراس الذين تراجعوا الى الخلف.

-«كل ما فعلناه، اننا اكتشفنا سر الملك! هذا كل ما في الأمر!» صرخت باربا توت وهي تطل من النافذة.

-«حطموا الباب!» صرخ رئيس الحراس الملكي.



ولكن مجموعة من الخبازين، والخياطين وقفوا امام الباب ومنعوا الحراس من الوصول اليها.

وعندما حاول الحراس توجيه المدافع، منعهم الناس من ذلك.

عند ذاك همس المستشار بشيئ غريب:

-«الزفت....».

واسرع كل من جنجر وثالث الى برميل كان يبدو ثقيلاً، لذا فقد قام الحارسان بدفعه الى احدى الزوايا، بصعوبة واضحة، وبقوة، بحيث اصطدم بالجدار ؛ وانكسر البرميل.

تدفق منه زفت سميك، وانتشر في كل مكان، وسالت قطرات منه الى كل زاوية.

رمى الحارس جنجر بعود متوهج من فوق رؤوس الواقفين. وفي الحال، اشتعلت النار في الحائط وتصاعدت النار كأنها ألسنة متوهجة.

-«نار! حريق! انا خائف!» صرخ طفل صغير بصوت رفيع.

في تلك المملكة الخالية من الماء، فان النار كانت تعتبر كارثة حقيقية.

تصاعدت السنة اللهب اكثر واكثر.

— «استمعوا الي.. جميعا» صرخت بارباتوت «استمعوا الي: لقد سرق الملك الماء منكم! هل تسمعون كلامي؟ ان النبع

العظيم في البلاط! تحت عرش الملك!».

– «اسكتوها!» صرخ ذو الاذنين الكبيرتين.

اندفعت مجموعة من الرجال، دفعوا الحرس جانبا، واسرعوا نحو البيت الذي شبت فيه النار. وكان هؤلاء الرجال يحملون معهم سلالم طويلة.

– «تراجعوا» صرخ الحرس.

شهدت باحة بارباتوت الصغيرة هرجا وهياجا كبيرين. تحطم السياج وتهاوى، وسقطت البوابة ايضا. ودارت معركة حامية بين الحرس وبين الناس المحتشدين ؛ تعالت فيها اصوات تكسر السيوف بالحجارة التي استعملها الناس سلاحا لهم.

واخيرا تراجع الحراس وحوصروا في زقاق ضيق.

اسرع عدد من الرجال، ووضعوا السلالم على الجهات الاربعة للبيت المحترق. أنزلوا رغد وسوتي اولا.

وهبط فيرميليون حاملا الضفدعة روزيتا على سلم اخر.

وقفت بارباتوت بضع لحظات قرب النافذة، وهي تطوي ذراعيها حول صدرها. اجالت نظراتها في البيت الذي اشتعلت فيه النار.

تصاعدت السنة اللهب اكثر.

– «تعالي.. بسرعة» هتفت رغد باكية وهبطت بارباتوت اخيرا.

وكان اخر من ترك البيت، هي السحابة. كانت تبدو منقطة

ومقلمة بذرات السخام.

حاول الرجال المحتشدون اطفاء النار بوضع الرمل على اللهب.

وحاصر جمع اخر من الرجال كلا من ذي الاذنين الكبيرتين ورئيس الحرس الملكي واللاعب الاعلى في البلاط وقام اخرون بجمع السلاح الذي تركه الحرس في غمرة خوفهم وهلعهم.

ولكن السنة اللهب امتدت واحاطت بالبيت كله، وتصاعد دخان كثيف منها.

انهار سقف البيت، وتطايرت قطع ملتهبة في جميع الاتجاهات.

امتدت النار الى البيوت القريبة، فقد بدأ البيت الصغير لصانع المظلات العجوز، يلتهب بالنار.

ثم سرعان ما امتدت السنة اللهب الى كوخ صانع الدانتيل الفقير، فقد اشتعلت الاعواد الخشبية الجافة بسرعة.

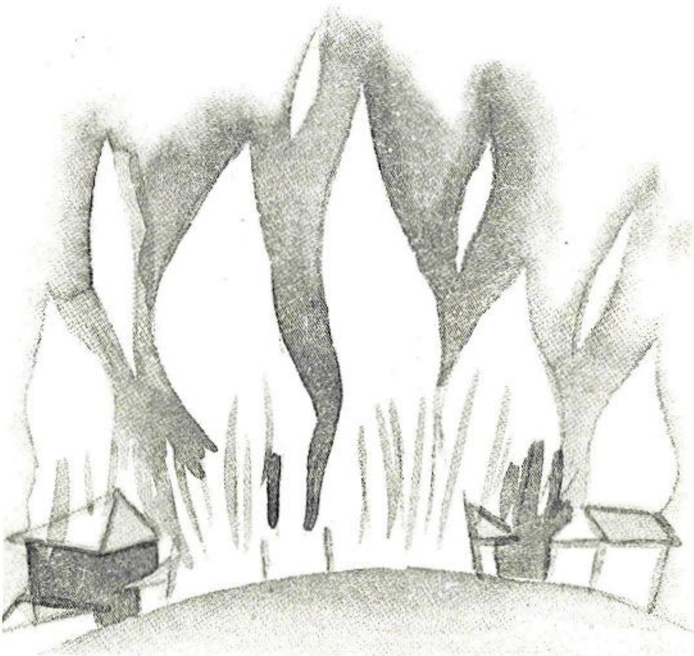
اسرعت السحابة نحو النار وهي تسكب عليها ماتقدر من ماء.

واصبحت السحابة متجعدة، وكانت تجد صعوبة بالغة في الطيران، وهي تسعل بشدة بسبب الدخان الكثيف.

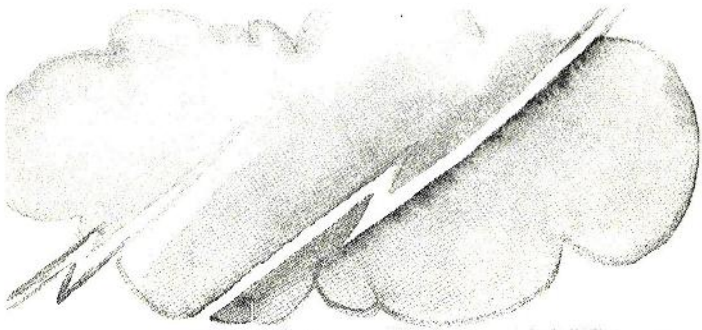
امتدت الآن النار الى جميع البيوت المجاورة! وحتى البيوت الأبعد، بدأت سقوفها تشتعل تدفق الناس على النبع، وطردوا

الحرس الذين كانوا يحرسونه. ولكن الحصول على الماء من ذلك النبع لم يكن بالامر اليسير اذ كان قد ملئ بالاحجار والحصى.

اسرع الناس نحو البيوت المحترقة من جميع الجوانب. وحملوا الماء اليها. اخر مالديهم من ماء. حمل بعض الناس الماء في سطل، واخرين في وعاء صغير، وقسم منهم في كوب صغير. ولكن.. كيف يمكن انقاذ مدينة محترقة بكوب من الماء؟؟



الفصل
السابع والعشرون



برق الجدة السحابة الكبرى

- ثندركلاود -

—«ها.. ها.. ها!» قهقهت بارباتوت فجأة.

«انظروا الى ذي الاذنين الكبيرتين! انه يزحف تحت العربة.»

كان ذو الاذنين يستند على العربة ويغوص الى الارض. وجثم أخيراً على الارض ورأسه بين ركبتيه.

كان ينظر فيما حوله في رعب، وغضب ودهشة.

في تلك الأثناء فقط، لاحظ الناس ان السماء من فوقهم قد اظلمت ؛ وكأن الليل قد هبط فجأة.

كانت هناك غيمة مدلهمّة كبيرة في سماء المدينة ؛ تسحب نفسها فوق سطوح المنازل.

وكان هناك شيءٌ في داخلها يقرقع بغموض وكأنها تسحب معها علباً ملأى بالقدور المعدنية التي كانت ترتطم ببعضها

وتصدر تلك الاصوات الغريبة.

-«اوقفوها! اقبضوا عليها! امنعوها!!»

صرخ ذو الاذنين الكبيرتين. وبالرغم من انه كان يصرخ لأول مرة في حياته، ولكن احدا لم يسمعه.

«قطرة ماء!» هتف طفل صغير فجأة.

«ماما! سقطت قطرة من السماء على انفي!!»

-« بعد ذلك انهمرت سيول من الماء من السماء على المدينة المحترقة وكأن برميلا كبيرا بحجم السماء سكب فجأه .

- «انت، ايها السحابة المشاكسة! تحرمين جدتك العجوز من لحظة راحة!» جاء صوت مرعد من بين الغيمة السوداء وأضاءت السماء بومضة من البرق، الذي اضاء السماء لحظة مثل شجرة فضية. وضرب البرق البرج المدبب في البلاط، وتناثرت كرات من النار على نوافذ البلاط.

تجمع الناس في الساحة وراحوا يتصايحون وهم يمسكون ايدي بعضهم بعضا.

اهتز البرج الرئيس في البلاط وتهاوى، دمدمت الارض ثم شاهد الناس شيئا براقا يتدفق من بين انقاض القصر، ويرتفع الى السماء الى الغيمة الكبرى. لقد كان ذلك النبع العظيم يتدفق.

اختلطت اصوات الرعد بالدمدمة ثم هطل المطر بقوة جديدة ومضاعفة.

أخمد الماء ألسنة اللهب. فهدأت النار، وهمد اوارها، وحاولت ان تختبىء بين البيوت ولكن الماء كان وراءها، فطاردها الى النهاية حتى لم تبقَ منها شعلة واحدة.

حينذاك ، هطل المطر اكثر سعادة وفرحا.

اندفع الناس من بيوتهم وبسطوا ايديهم، وكان الماء ينهمر عليهم وينساب من ايديهم الى اذرعهم واكتافهم.

خرج رجال شعر رؤوسهم ناصع البياض، من بيوتهم. تذكروا طفولتهم وغسل المطر دموعهم التى فاضت بها عيونهم . وتدفق الاطفال يمرحون فوق البرك التي تكونت، وراحوا ينثرون الماء منها. فبدا وكأن المطر، كان ينهمر من الاعلى ومن السفل في الوقت ذاته.

وتجمع الحمام المبتل في حلقات فوق سقوف المنازل وراح يطرد الدخان باجنحته.

فجأه تنبه الجميع الى ان المستشار ذو الاذنين الكبيرتين، ورئيس الحرس الملكي واللاعب الرئيس لم يكونوا موجودين في الساحة. وكأن المطر المنهمر قد محا هؤلاء الاشرار، كما يغسل المطر الاوساخ من الشوارع.

ولم يعثر عليهم احد بعد ذلك ابدا. من الواضح ان المطر اخافهم وارعبهم ؟ بحيث انهم هربوا الى منطقة نائية جدا ولم يجرؤوا على العودة أبدا.

وغسل المطر منظف المداخن غسلا جيدا ايضا. وبدا بعد الغسل ابيض الوجه ذهبي الشعر والرموش.

–«اوه...انت ايتها الفتاة المشاكسة» استدارت بارباتوت الى رغد. «لقد لوثت ثوبك! اهذا ماكنت تريدين ؟! والان علينا ان نشتري لك ثوبا جديدا»

ولكن رغد احتضنت بارباتوت وأغرقت وجهها بالقبل.

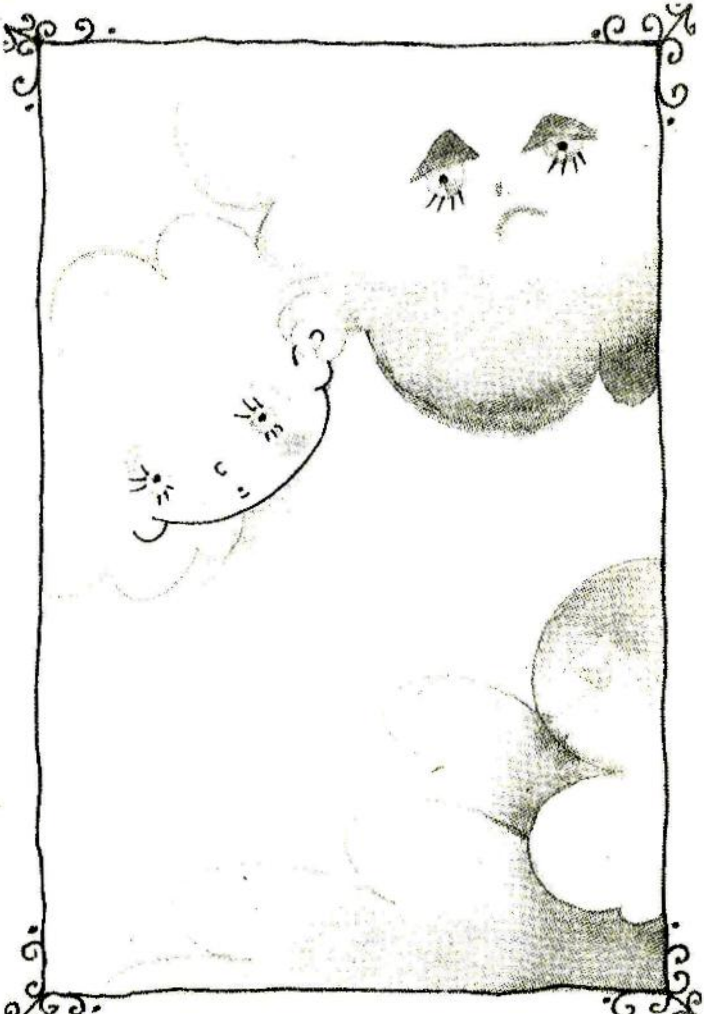
–«هذا....جزاؤك!» جاء صوت مدمدم من الاعلى. ومن خلال المطر المنهمر بدت الجدة، الغيمة الكبرى، وهي تمسك بالسحابة من اذنها وتهزها بقوة.

–«هل تعدينني بعدم العودة الى مخالفة اوامري ثانية وعدم التحليق في اماكن ممنوعة عليك؟ ثم ترسلين لي الحمام عندما تحتاجين اليّ؟ الحقيني، وساعديني ياجدتي...!».

كانت السحابة تقفز على قدم واحدة، وتبكي.

–«دعيها وشأنها! دعيها وشأنها في الحال!» صرخت باربا توت وهي تقفز الى الاعلى بكل قوتها، وتهز قبضتها للغيمة الكبرى. «كان عليكم ان تشعروا بالخجل من انفسكم، جميعا! لقد تخليتم عنا جميعا، وهي الوحيدة التي ساعدتنا. فتوقفي حالاً عن جرِّ أذنها.

لاشك ان كلمات باربا توت قد تركت اثرها في الغيمة الكبرى. فقد تمتمت هذه بغضب، ثم تركت السحابة الى حال



وبعد ان فركت اذنها، والتي اصبحت كبيرة الحجم الآن،
هرعت السحابة الى رغد.

- «ياله من وجه رائع وقور، وجه جدتك!» قال فير ميليون بفرح طاغ «ليتها توافق على الجلوس لكي أرسم لها صورة.. كم سأكون مسروراً بذلك!»

في تلك الاثناء تجمع الناس حول أصدقائنا وسرعان ماحملوا على الاكتاف وساروا بهم.

كانت بار باتوت تضرب بقدمها بكل قوتها وهي على رؤوس بعض الرجال. وهنا سمعت صوتاً هامساً يقول لها.:

- «على مهلك يابار باتوت! لاتضربي بقوة! هل نسيت باني طلبت يدك قبل خمسين عاماً وعندما رفضت الزواج مني قررت ألاّ أتزوج أبداً؟!»

وحملت مجموعة من الخبازين والحائكين، وصانع المظلات السحابة الخفيفة، بعناية تامة.

وحمل أحد الرجال سوتي على إحدى كتفيه ورغد على كتفه الأخرى

الضفدعة روزيتا فقط، طلبت أن تُترك في بركة صغيرة لتسترجع انفاسها.

«اني أود أن أحصل على بعض الراحة بعد كل هذا الذي

حدث.. وأفكر في حال الدنيا..»

استمر المطر في الهطول كان كل واحد قد ابتل حتى الجسم ولكن لم يكن هناك من يرغب في توقف المطر.

في ساحة البقرة الوحيدة كان الشحاذ الوحيد يرقص تحت وابل المطر وفي متجر صانع الساعات عزفت الساعات بفرح.

توقفت الجموع عند الجسر القديم كان الناس ينحنون وينظرون الى النهر. من بين الصخور والأحجار الجافة شوهد خيط رفيع من الماء يشق طريقه بتردد، وحذر.

ولكن الجموع وقفت وحدقت فية ثم ازداد الماء وارتفع وبعد قليل كان الماء يتفدق من بين الصخور وينساب رائعاً.

– «انه ملكي ؟هذا الماء...لي أنا!»صرخ العم كلاك. كانت عيناه خاويتان. خاليتان من الحياة وحاول أن يُمسك الماء بيديه ولكنه انساب من بين أصابعه كان الماء الآن قد ارتفع حتى وصل صدره.

– «انه لي..كل هذا الماء..لن أسمح لأي شخص بأن يأخذ قطرة واحدة منه..ولاقطرة واحدة..دون أن يدفع الثمن!»

قال الناس في أسىً:

– «لقد أُصيب بالجنون ...بسبب الطمع والحقد....» ومنعت الأمهات أولادهن من التعرض للرجل المجنون.

أخيرا وصل الجميع الى ساحة القصر كانت أبواب الحدائق

مفتوحة على مصراعيها.

اسرعت الفتيات ورحن يقطفن سلالاً ملأى بالزهور، وعملن منها أكاليل جميلة، وقمن برميها في النهر.

— «كلا.. لاأستطيع أن أواصل الجلوس في المكان عينه لحظة اخرى! لم أشعر بالتعب طيلة حياتي كما شعرت الآن بعد جلستي الطويلة هذه تمتمت الغيمة الكبرى — ثندركلاود — وهي تنطلق محلقة من نافذة مرسم الفنان فيرميليون. ولكن فيرميليون كان قد انتهى من رسم الغيمة.

كان في غاية السعادة بالرغم من انه كان جالساً الى وسطه في الماء وان جميع الأدوات في المرسم ابتلت بالماء، ولكن الصورة التي رسمها للغيمة الكبرى كانت رائعة ملأى بالحياة.

ان هذه الصورة معلقة الآن في متحف المدينة.

— «حسنا....لقد آنَ الأوان لقول وداعا لكم» تمتمت الغيمة الكبرى الجدة-ثندركلاود- وهي تظهر فوق الساحة.

—«لاتذهبي!» هتفت رغد وهي تحتضن السحابة.

— «أوه.. هذه المواقف اثناء الوداع...!»

قالت الغيمة الكبرى الجده ثندركلاود — وهي تسحب السحابة من ذراعها.» سوف يبدأ البكاء الآن وتنهمر سيول من الدمع!»

— «وداعاً ...رغد!» هتفت السحابة وهى تحاول ان تسحب

يدها من قبضة جدتها استطاعت ذراع السحابة.. ولكن الغيمة الكبرى أخذتها معها...

-انهمرت الدموع من عيني السحابة.

- «سوف اتبعك !» هتفت رغد باكية ولكن بارباتوت امسكت بها بحزم

- «دعيني اذهب...!»وحاولت رغد ان تتخلص من قبضة بارباتوت القوية.

-«الفتيات الصغيرات لايتبعن السحب هنا وهناك» قالت بارباتوت بصوت حزين .

-« متى تأتين ثانية! صرخت رغد.

-« ستأتي السحب اليكم كثيراً بعد الآن!

اجابت السحابة..من بعيد.

-«ولكن انت؟ هل ستأتين ؟ هتفت رغد بأعلى صوتها.

نعم.. سوف آتي.. وحملت الريح الكلمات الأخيرة.

- «سوف انتظرك..» همست رغد.

احتضنت بارباتوت رغد الى صدرها بقوة بحيث إن رغد شعرت بالألم.

توقف المطر الآن . بعض القطرات الكبيرة كانت تتساقط من السقف. كل قطرة كانت تردد أُغنية غريبة. لكنها رائعة الجمال عندما تسقط.

استدارت الغيمة الكبرى وهي تطير. أخرجت قطعة من معطفها الكبير، ووجدت رباطاً جميلاً ملونا، هزته ثم رمته في الهواء.

وفجأة ظهر قوس قزح ملون براق في سماء المدينة.



السعر ٥٠٠ فلس

شركة المنصور للطباعة المحدودة ـ تلفون ٤١٦٣١٥٣